

# رسائل ابن حزم الأندلسي

٣٨٤ - ٤٥٦ هـ

## الجزء الثالث

١- رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي.
٢- رسالتان أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال تعنيف.
٣- رسالة في الرد على الهاتف من بعد.
٤- رسالة التوقيف على شارع النجاة.
٥- رسالة التلخيص لوجوه التخليص.
٦- رسالة البيان عن حقيقة الإيمان.
٧- رسالة في الإمامة.
٨- رسالة في حكم من قال إن أرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم الدين.

تحقيق

الدكتور احسان عباس

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

# نظرة في رسائل هذه المجموعة

## - ١ -

## رسالة في الرد على ابن النغريلة

**١ ـ من هوّ ابن النغريلة :**

تختلف المصادر في رسم اسمه على النحو الآتي :

( أ ) ابن النغرالي في الفصل ( ومرة النغرال ) وتصحف إلى الغزال في طبقات صاعد .

(ب) ابن نغرالة في التبيان وأعمال الأعلام ( واللام مشددة ) ، ونغرالة في أصول الإحاطة ، ونغزالة في البيان المغرب ( ويكتبه الأستاذ غرسيه غومس بلام خفيفة ) .

(جـ) ابن نغرله في مغرب ابن سعيد .

( د ) ابن النغريلي في ذخيرة ابن بسام .

( هـ) ابن نغدالة ( بالدال ) عند دوزي .

( و ) ابن نفريلة في الأصل المخطوط من رسالة ابن حزم .

هذا الاسم إذا أطلق عنى أحد اثنين هما : صموئيل بن يوسف ( إسماعيل أو أشموال عند ابن حزم في الفصل ) المكني بأبي إبراهيم ، وابنه يوسف بن إسماعيل المكني بأبي الحسين . والأول وزر لصاحب غرناطة حبوس ثم لابنه باديس وخلفه ابنه في خطته ، والثاني ـ يوسف ـ هو الذي ثارت به صنهاجة وقتلته . وبعض المصادر مثل الذخيرة والنفح والبيان المغرب ومغرب ابن سعيد يجعل المقتول هو إسماعيل ويجعل الوزير الأول أباه ويسميه يوسف ، ويذكر ابن سعيد أن للمقتول إسماعيل ابناً اسمه يوسف كان

صغيراً حين قتل أبوه وصلب [1] . وهذا كله وهم يصححه كتاب التبيان [2] لأن مؤلفه هو حفيد باديس نفسه ، وقد شهد تلك الأحداث وعرفها عن كثب .

ويبدو أن الاختلاف في رسم الاسم ليس منشؤه التصحيف فحسب ، وإنما هو من طبيعة النطق ، وربما كانت ألفه المتوسطة وسطاً بين الألف والياء ، وربما كانت نهايته بين الهاء والياء تعتمد تارة على نطقه باللهجة العامية الأندلسية وتارة على انتحال نطق فصيح له . وتكاد المصادر تجمع على كتابته بالراء إلا أن دوزي اختار الدال ، ولعله لمح شيئاً من الصلة بين الاسم وكلمة ناغيد ( أو ناغيذ ) العبرية ، وهي لقب أحرزه إسماعيل وانتحله ابنه من بعده على غير استحقاق له ، قال ابن بسام : « وتسمى من خططه الشرعية بالناغير ( الناغيد في نسخة أخرى ) معناه المدبر عندهم » . وها هي كلمة « الناغيد » تتصحف أيضاً فتكتب بالراء .

وقد وردت لفظة « الناغيد » ( بالدال أو بالذال ) في أسفار العهد القديم بمعنى القيم على المعبد ( الاخبار الأول ٢٦ : ٢٤ ) وبمعنى رئيس القصر ( الاخبار الثاني ٢٨ : ٧ وأشعيا ٢٢ : ٢١ ) وبمعنى قائد الجيش أو رئيس فصيلة منه أو زعيم قبيلة ( الأخبار الأول ٢٧ : ١٦ والثاني ١٩ : ١١ ) واختار ابن بسام لها كلمة « المدبر » ، ولا يبعد أن يكون هو اللفظ الاصطلاحي الذي استعمل في الأندلس .

فإذا كان من صلة بين الاسم وبين اللقب فالأقرب أن الاسم هو « الناغيدلي » أو « الناغيدلة » ثم يقصر النطق به لكثرة تردده . فأما المقطع « لي » أو « له » الملحق به فإما أن يكون ذا صلة بلفظة « إيل » العبرية أو يكون صيغة تصغير لاتينية . وهذا كله تخمين أترك تحقيقه للعارفين بهذه الشؤون اللغوية ، غير أن إجماع المصادر ـ تقريباً ـ على كتابته بالراء وتمسك أساتذة ثقات بهذا الاسم ـ مثل بروفنسال وغومس ـ يجعلني أحتفظ به كذلك .

**٢ ـ إسماعيل بن النغريلة : (٣٨٣ ـ ٤٤٨ / ٩٩٣ ـ ١٠٥٦ )** [3]

لم يكن أندلسي الأصل بل كان أهله من الطارئين على الأندلس . وقد أخطأ

---

(١) المغرب ٢ : ١١٥ والصواب أن يقال : إسماعيل الجد ، ثم ابنه يوسف الذي قامت عليه ثورة فقتل وصلب ثم الحفيد إسماعيل الذي هرب إلى أفريقية حين قتل أبوه .

(٢) التبيان أو مذكرات الأمير عبد الله ( تحقيق ليثي بروفنسال ١٩٥٥ ) ٣٠ ـ ٦٨ .

(٣) ذكر ابن الخطيب في الإحاطة ( ١ : ٤٤٧ ) أن إسماعيل توفي سنة ٤٥٩ وهذا وهم ولعل الصواب ٤٤٩ ، وتوفي ابنه يوسف سنة ٤٥٩ ( انظر المصدر نفسه : ٤٤٨ ) .

ابن سعيد في قوله إنه من بيت مشهور بغرناطة ، فهو غريب عن الأندلس وعن غرناطة معاً لأنه نشأ بقرطبة واضطرته فتنة البربر ( ٣٩٩ هـ ) إلى الهجرة منها ، فسكن مالقة حيث افتتح له دكاناً . وكان قد درس التلمود بقرطبة على الكاهن حنوك ، كما درس الأدب العربي وغيره حتى أصبح يتقن الكتابة المنمقة بالعربية [١] . وتوصلت به الأحوال إلى أن أصبح كاتباً عند أبي العباس وزير حبوس وكاتبه الأعلى ، فلما توفي أبو العباس خلفه ابنه على الكتابة ، وكان صغير السن ، فأصبحت شؤون الديوان في يد إسماعيل [٢] ، وأخذ هذا يتقرب إلى باديس طمعاً منه أن يحظى لديه إذا هو تولى الحكم بعد أبيه حبوس ، واتفق حدوث مؤامرة دبرها بعضهم لإزاحة باديس عن الإمارة وشارك إسماعيل فيها ولكنه إمعاناً منه في طلب الحظوة كشف أمرها لباديس وجعله بحيث يسمع ما يقوله المتآمرون ؛ ولهذه اليد ولأسباب أخرى اتخذه باديس وزيراً ، ومن تلك الأسباب [٣] :

( أ ) أنه ذمي غير أندلسي لا تشره نفسه إلى ولاية .

(ب) أن في غرناطة جالية كبيرة من اليهود ، فهو أقدر من غيره على جباية الأموال ، وعلى ضبط الجباية لأن عمّالها منهم أيضاً .

(جـ) أن إسماعيل كان حسن المداراة للناس ماهراً في استخراج ما يريده منهم .

وقد حاول دوزي أن يعزو الثقة في إسماعيل إلى مهارته في الكتابة وأن باديس لم يكن يطمئن إلى العرب ولا يجد كاتباً رفيع الأسلوب من البربر ، وليس هذا بأقوى الأسباب .

وعلى أي حال فإن إسماعيل أثبت في السياسة كفاية ممتازة ، وهي كفاية تزداد شأناً كلما تذكرنا طغيان باديس وجبروته واتجاه الأمور وجهة الفوضى والمؤامرات ، حتى إن باديس لما فكر في استئصال العناصر العربية في غرناطة نصحه إسماعيل أن لا يفعل ودسَّ نسواناً إلى معارف لهن من نساء زعماء المسلمين بغرناطة لينهاهم عن حضور الصلاة وأحبط تدبير باديس . وكشف باديس مؤامرة من صنهاجة ضده ووقعت يده

(١) دوزي : ٦٠٧ .

(٢) وصار متى غاب ولد أبي العباس يحضر أبو إبراهيم فيسأل عنه حبوس ، فيقول معتذراً في الظاهر ومطالباً له في لحن القول : ولد أبي العباس ـ كما ترى ـ صبي يؤثر الراحة ، وأنت جدير بالإغضاء عليه ، وإقامة عذره ؛ وأنا عبده أنوب منابه ، فمرني بما شئت يتهيأ ذلك . ( التبيان ٣٠ ـ ٣١ ) .

(٣) انظر التبيان : ٣١ ـ ٣٢ .

على أزيد من مائتي اسم مشتركين فيها فشاور وزيره اليهودي في أمرهم ، فأشار عليه بحرق الكتب التي ضبطها وبطي المسألة وقال : إن رأس العقل مداراة الناس [1] .

وتجمع المصادر على إطراء إسماعيل وحسن سياسته حتى قال فيه ابن حيان : « وكان هذا اللعين في ذاته على ما زوى الله عنه من هدايته من أكمل الرجال علماً وحلماً وفهماً وذكاء ودماثة وركانة ودهاء ومكراً وملكاً لنفسه وبسطاً من خلقه ومعرفة بزمانه ومداراة لعدوه » [2] . وكان قليل الكلام دائم التفكير جمّاعة للكتب ، وكان من الناحية الأدبية يحسن الكتابة بالعربية والعبرية ، مزوداً بأنواع مختلفة من الثقافات كالرياضيات والنجوم والهندسة والمنطق والجدل وعلوم الدين . وقد ألف في الرياضيات كتاباً اسمه « السجيح في علوم الأوائل الرياضية » . وقال القاضي صاعد فيه : « وكان عنده من العلم بشريعة اليهود والمعرفة بالانتصار لها والذبّ عنها ما لم يكن عند أحد من أهل الأندلس » [3] وله رسالة رد فيها على أبي مروان بن جناح اليهودي في نحو اللغة العبرية [4] كما نشر مقدمة للتلمود بالعبرية تناولت منهج التلمود ومصطلحاته . وكتب اثنين وعشرين مؤلفاً في النحو . ومن مؤلفاته المشهورة ما نحا به نحو المزامير ( بن تحلّيم ) والأمثال ( بن مشلي ) والجامعة ( بن قوهلث ) أي ما دبجه في الأدعية والأمثال والحكمة الفلسفية [5] . وقد وظف نساخاً ينسخون المشنا والتلمود ليقدم النسخ إلى من لا يستطيع شراءها من طلبة العلم ، وكان يُفْضِلُ على اليهود في الأندلس وخارجها ولذا لقبه يهود غرناطة « الناغيد » اعترافاً بفضله [6] ولما فقده اليهود حزنوا عليه كثيراً لأنهم فقدوا دعامة كبيرة من دعائم مجدهم .

وقد كان إسماعيل أيضاً شاعراً مرموقاً بين أهل ملته ، وله ديوان شعر ، ويقال إنه نظم ما يزيد على ألف وسبعمائة بين مقطوعة وقصيدة ، ويتناول شعره بعض الموضوعات الدينية ، ولكنه يعد من أوائل من تجاوزوا تلك الموضوعات إلى موضوعات دنيوية فنظم في الغزل والخمر ووصف الطبيعة ومناظر الحرب والمديح والهجاء ، وهي الموضوعات التي كان يجد نماذجها الكثيرة في الشعر العربي ؛ وكان يحلّ في شعره

---

(١) التبيان : ٣٣ ـ ٣٤ .
(٢) الإحاطة ١ : ٤٤٦ .
(٣) طبقات الأمم : ١٠٠ .
(٤) بالنثيا : ٤٩٢ .
(٥) دوزي : ٦٠٩ .
(٦) المصدر نفسه : ٦١٠ .

معاني من المزامير والأمثال والجامعة ويكثر فيه من الإشارات والاقتباسات[1]. ولدى قراءة نماذج من شعره يبدو أنه إذا تجاوز الشؤون الدينية لا يفترق في معانيه وصوره عن الشعر العربي ، فمن ذلك قوله في إحدى خمرياته[2] :

حمراء في لونها ، عذبة في مذاقها
خمرة أندلسية غير أنها ذائعة الصيت في المشرق
ضعيفة في الكأس ولكن ما إن تخالط اللب
حتى تتحكم في الرءوس وتميلها .

الثاكل الذي تمتزج دموعه بالدم ،
يبدد دمُ العنقود أحزانه
والندامى الذين يصرّفون الكأس من يد إلى يد
كأنما يتياسرون فيما بينهم لإحراز جوهرة ثمينة .

ومن شعره في القلم :

حكمة المرءِ في سن قلمه
وذكاؤه فيما تخط يده
قلم المرء يرفعه إلى منزلة
يتيحها الصولجان للملك .

وله من أخرى :

قالت لي ابتهج لأن الله
قد بلغك سنّ الخمسين في هذا الكون ، ونَسِيَتْ
أن لا فرق لديّ بين أيامي التي عبرت
وما أسمعه عن أيام نوح
ليس لي في هذا العالم إلا الساعة التي أنا فيها .
إنها تدوم لحظة ، ثم هي لا شيء ، كالسحابة .

---

(١) دوزي : ٦٠٩ .
(٢) حرصت على تأدية هذه المقتبسات على نحو حرفي . لأن أي تحوير فيها يجعلها صورة أخرى مما يشبهها في الشعر العربي . وهذه النماذج في كتاب Master Pieces of Hebrew Literature ( نيويورك ١٩٦٩) ص ١٧٥ ـ ١٧٨ .

وله من قصيدة أرسلها إلى ابنه يوسف يذكر فيها فكاك الحصار عن لورقة :

أبعث بحمامة زاجلة وإن كانت لا تحسن النطق
وبرسالة لطيفة مربوطة إلى جناحيها
مخلقةٍ بالزعفران ، مضمّخة بالمسك
وعندما تهم أن تطير أبعث معها أخرى
حتى إذا لقيها نسر أو وقعت في شرك
أو أبطأت ، أسرعت الأخرى ؛
فإذا بلغت بيت يوسف ، حطت على ذروته
وإذا طارت لتحط على يده سرّ بها كأنها بلبل غريد
ونشر جناحيها وقرأ في الرسالة :
اعلم يا بني أن عصبة الثائرين الملعونين قد فرت
وتفرقت بين الربى كالعصف من حقلٍ هبت عليه ريح
ومضت في الدروب كالغنم ضلّت دون راع لها
كانوا يرجون أن يقهروا عدوهم لكنهم لم يبصروه
ومضينا للقضاء عليهم لحظة أن هربوا
فذبّحوا وتساقطوا بعضهم فوق بعض عند المعبر
وأخفقت خطتهم ضدّ المدينة المنيعة المسورة ......

وله قصيدة طويلة يذكر فيها انتصاره - وكان قائداً فيما يقول لجيش غرناطة - على ابن عبّاد ، وذلك بعد الانتصار على زهير الفتى وصاحبه ابن عباس [1] ، وهذا يدلُّ على أن جانباً من شعره يتصل بأحداث الأندلس ويلقي عليها بعض الأضواء .

لتلك المنزلة الكبيرة التي بلغها إسماعيل في دولة بني زيري بغرناطة نجد أن الشعراء من يهود وغيرهم كانوا يتقربون إليه بالمدائح ، رجاء الحظوة لديه والعطاء . ومن مدّاحه أحمد بن خيرة المعروف بالمنفتل ، وهو شاعر قرطبي . وله فيه :

وما اكتحلت عيني بمثل ابن يوسف ولست أحاشي الشمس من ذا ولا البدرا

ويقول ابن بسام في التعليق على هذه القصيدة : « وله في هذه القصيدة من الغلو

(١) انظر هذه القصيدة في : Goldstein: Hebrew Poems From Spain ص٤٦ - ٥٤ ؛ وفي هزيمة ابن عباد انظر التبيان : ٤٣ .

في القول ، ما نبرأ منه إلى ذي القوة والحول .... فما أدري من أي شؤون هذا المدلّ بذنبه المجترئ على ربه أعجب : ألتفضيل هذا اليهودي المأفون على الأنبياء والمرسلين ، أم خلعه إليه الدنيا والدين ، حشره الله تحت لوائه ، ولا أدخله الجنة إلا بفضل اعتنائه » [1] وللمنفتل هذا رسالة يذكر فيها فقره ورحلته عن قرطبة ، يؤم جناب إسماعيل بن يوسف « فتى كرم خالاً وعمّاً ، وشرح من المجد ما كان معمّى ، قساً فصاحة ، وكعباً سماحة ، ولقمان علماً ، والأحنف حلماً » ويطنب فيها في الثناء عليه رجاء نواله ويختم رسالته بقصيدة مدحية أيضاً [2] .

وهذا السلطان الواسع الذي أحرزه إسماعيل هو الذي مكن لليهود في كثير من الشؤون الإدارية والمالية لأنه كان يختار الموظفين منهم ، فاكتسبوا الجاه في أيامه واستطالوا على المسلمين [3] ، ثم إن هذا الجاه الدنيوي هو الذي ساعد الجماعة اليهودية يومئذ على تثبيت اللغة اليهودية وبعث الثقافة اليهودية والظهور بذلك .

### ٣ ـ يوسف ابن النغريلة :

وخلفه على الوزارة ابنه يوسف وكان فتى جميل الوجه حاد الذهن مقروفاً ببعض الشؤون [4] ، وكان أبوه قد حمله على مطالعة بعض الكتب وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية يعلمونه ويدارسونه ، وأعلقه بصنعة الكتابة ، وألحقه بخدمة بلكين بن باديس [5] . وكان لباديس وزيران هما : علي وعبد الله ابنا القروي ، فتقرب إليهما يوسف بالأموال حتى اطمأنا إليه ونصحا لباديس بالاعتماد عليه ، فقدمه باديس على العمال والجبايات ، فنفق لديه بتدبير الأموال حتى انتزع له بالحيلة ما كان بيد ابني القروي من أملاك [6] . فاغتاظ ابنا القروي من ذلك وشاركهم شعورهم بعض رجال الدولة وحرضوا بلقين ( بلكين ) على قتله ، وكان بلكين رجلاً لا يستطيع كتمان سر ، فأخذ يتحدث بقتله علناً ، فاحتال عليه اليهودي بأن دعاه للشرب عنده وتخلص منه بالسم ، وكانت هذه الحادثة مما أثار الناس على اليهودي حتى هموا بقتله لأن بلكين كان

---

(١) انظر الذخيرة ١/٢ : ٧٦٣ ـ ٧٦٥ .
(٢) المصدر السابق : ٧٦١ ـ ٧٦٣ .
(٣) الإحاطة : ٤٤٦ .
(٤) الذخيرة ١/٢ : ٧٦٦ .
(٥) الإحاطة ١ : ٤٤٧ .
(٦) انظر التبيان : ٣٧ ـ ٣٩ .

مرجوّاً لديهم . ولم يكفّ يوسف عن أساليبه فظل يتعقب ابني القروي حتى نفاهما عما تبقى لهما من أملاك ، وازدهاه انتصاره وأبطره .

ومن الأسباب التي مكنت له في الدولة [1] :

( أ ) كبر سن باديس وإسلامه الأمور كلها له واشتغال باديس بالشرب حتى كان لا يكاد يصحو .

(ب) اختلاف النساء في القصر حول من يقدم للإمارة بعد باديس وتوصل يوسف إليهن بأسباب الخدمة .

(جـ) عمله مع أناس قليلي التجارب من مثل ابني القروي وبلكين وأشباههم وجريه فيهم على سياسة التفرقة وتضريب بعضهم ببعض .

أما الأسباب التي أدت إلى مصرعه فيمكن إجمالها فيما يلي :

( أ ) توسع شأن اليهود وتسلطهم على المسلمين في حكومته وحكومة أبيه من قبله ونفور المسلمين من دفع الجبايات لهم ، خصوصاً وأن باديس لم يأذن ـ رسمياً ـ لليهود بمطالبة المسلمين ، ولكن يوسف وأعوانه كانوا يحتالون لذلك .

( ب ) الصراع بينه وبين الناية وهو عبد للمعتضد بن عباد فرَّ إلى غرناطة ولقي حظوةً عند باديس ، وكانت المنافسة بينه وبين اليهودي شديدة ، وأخذ باديس يصغي إليه فيما يقوله ضد يوسف بعض إصغاء .

( جـ ) كثرت مؤامرات النساء وتشابكت وكانت كلما انكشفت واحدة منها عصبت برأس اليهودي ، فرأى يوسف أن لا مخلص له إلا في التآمر مع صاحب المرية ـ ابن صمادح ـ ليستولي على غرناطة ويتخلص من باديس . وإتماماً لهذه المؤامرة نصح يوسف لباديس أن يقصي أكابر صنهاجة عن غرناطة ويوليهم الولايات بعيداً عنها ، وانكشفت مؤامراته ونادى المنادي بذلك في الأسواق فهبت صنهاجة لدفع ذلك .

( د ) عدم تورعه عن نقد الأديان والتطاول عليها في سخرية [2] ، حتى كان اليهود أنفسهم غير راضين عنه ، بل هم يتشاءمون باسمه ويتظلمون من جور حكمه ،

---

(١) التبيان : ٤١ وما بعدها .

(٢) يذكر ابن بسام ( الذخيرة ٢/١ : ٧٦٦ ) أنه كان يتمدح بالطعن على الملل .

وتطاول إلى لقب « الناغيد » [١] ونقل عنه أنه يقول إنه ينظم القرآن شعراً وموشحات وهكذا .

( هـ ) ثورة الأتقياء على هذا الوضع أي على وضع الثقة في شخص غير مسلم ، ومن ذلك نجمت قصيدة الشيخ أبي إسحاق الألبيري التي يحرض فيها صنهاجة على التخلص من اليهود والوزير اليهودي ويقول فيها [٢] :

وإني احتللت بغرناطة ... فكنت أراهم بها عابثين
وقد قسموها وأعمالها ... فمنهم بكل مكان لعين
وهم يقبضون جباياتها ... وهم يخصمون وهم يقسمون
وهم يلبسون رفيع الكسا ... وأنتم لأوضاعها لابسون
وهم أمناكم على سركم ... وكيف يكون أمينا خؤون

وكان لهذه القصيدة أثر في تحريك النفوس وازدياد الغليان . فلما نادى المنادي « يا معشر من سمع بالمظفر قد غدره اليهودي ، وهذا ابن صمادح داخل في البلدة » [٣] وتسامع الناس بذلك ، هبوا جميعاً . وهرب يوسف إلى داخل القصر واتبعته العامة حتى ظفروا به وقتلوه ، وقيل إنهم وجدوه مختبئاً في مخزن للفحم وقد سوّد وجهه لئلا يعرف ، ثم قصدوا اليهود فأحالوا عليهم قتلاً ونهبوا أموالهم ، ويقال إنهم قضوا على أربعة آلاف ونيِّفٍ في تلك المذبحة [٣] .

### ٤ ـ ابن حزم والثقافة اليهودية :

لم يكن ابن حزم يعرف اللغة العبرية ، وشاهد ذلك أنه يقول في الفصل : « ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية » [٤] ولكنه فيما يبدو وجد نفسه وجهاً لوجه أمام بعض المجادلين من اليهود في شؤون العقائد ، فكان يناظرهم دون أن يطلع على التوراة [٥]. وكثرت المناظرات وتعددت حتى قال ابن حيان : ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود ـ

(١) الذخيرة ١/٢ : ٧٦٧ .
(٢) القصيدة في ديوان أبي إسحاق الألبيري ( مدريد ) : ١٥١ ـ ١٥٣ و ( بيروت ) : ٩٦ ـ ١٠٠ .
(٣) يذهب ابن بسام إلى أن ابن النغريلة واطأ ابن صمادح ليتخلص من المظفر باديس ، وملكه أكثر حصون غرناطة وأنه كان ينوي أن يتخلص من ابن صمادح بعد ذلك ( الذخيرة ١/٢ : ٧٦٨ ـ ٧٦٩ ) .
(٣) الذخيرة ١/٢ : ٧٩٦ .
(٤) الفصل ١ : ١٤٢ .
(٥) الفصل ١ : ٢١٣ .

لعنهم الله ـ ومع غيرهم من أولي المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام مجالس محفوظة وأخبار مكتوبة [1] . ثم إنه رأى أن الاطلاع على نصوص كتبهم يقوي موقفه وينفي عنه تهمة الجهل بما يوردونه عليه من آراء ، فقرأ التوراة وهي الأسفار الخمسة الأولى . ويبدو أنه كان منها نسخ مترجمة ترجمات مختلفة ولم تكن هناك ترجمة واحدة معتمدة لقوله : « ورأيت في نسخة أخرى منها » [2] وأورد نصاً مغايراً بعض المغايرة لنص آخر وجده في إحدى النسخ . وقد وصف ابن حزم نسخة التوراة ـ وهي مجموعة الأسفار الخمسة ـ بقوله : وإنما هي مقدار مائة ورقة وعشرة أوراق في كل صفحة منها من ثلاثة وعشرين سطراً إلى نحو ذلك بخط هو إلى الانفساح أقرب ، يكون في السطر بضع عشرة كلمة » [3] . ويظهر من النصوص التي أوردها في هذه الرسالة ومن مقابلتها بالترجمة الموجودة بين أيدينا مدى البعد بين الترجمتين في اللفظ والمعنى .

وإذا تحدث ابن حزم عن أسفار التوراة استعمل أسماء معربة مثل سفر التكرار [4] ( التثنية ) أو استعمل الأسماء العبرية ، فهو يقول : وأما الكتب التي يضيفونها إلى سليمان ـ عليه السلام ـ فهي ثلاثة واحدها يسمى شارهسيرثم ( صوابه : شيرهشيريم ) معناه شعر الأشعار ... والثاني يسمى : مثلا ( هذه هي الصيغة السريانية أما العبرية مشلا بالشين ) معناه الأمثال ، والثالث يسمى فوهلث ( صوابه : قوهلث ) معناه الجوامع [5] ولا نشك في أن التحريف في الأسماء إنما هو من جهل النساخ وأن ابن حزم كان يعرف الوجه الصحيح منها .

واطلع ابن حزم أيضاً على الأسفار الأخرى ، وعلى كتب وشروح لليهود لا يسميها ويكتفي بأن يشير إليها بقوله : « وفي بعض كتبهم » أو « وفي بعض كتبهم المعظمة » [6] كما يشير إلى سفرين من أسفار التلمود يسمي أحدهما شعر توما ويسمي الثاني سادر ناشيم . وقرأ أيضاً تاريخ يوسيفوس ( أو يوسف بن هارون الهاروني ـ كما يسميه ـ ) [7] وبالإضافة إلى هذا الإطلاع عرف شيئاً من أحوال اليهود بالمجاورة والمشاهدة فكان

---

(١) الذخيرة ١/١ : ١٧٠ .
(٢) الفصل ١ : ١٢١ .
(٣) الفصل ١ : ١٨٧ .
(٤) الفصل : ١ : ١٩٨ .
(٥) الفصل ١ : ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .
(٦) الفصل ١ : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ .
(٧) الفصل ١ : ٩٩ .

يسال بعض علمائهم ومقدميهم عما يتوقف فيه ، مجادلاً في أكثر الأحيان لا مستفهماً ، ونراه في المرية يجلس في دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي الذي كان مشهوراً بالفراسة [1] . وقد جعل وكده منذ البدء إثبات التحريف والتناقض والتبديل على التوراة ، ولذلك درسها دراسة مستأنية ، وكان هو رائد ابن خلدون في المنهج الذي اتبعه في نقد الخبر التاريخي من هذه الناحية أعني الناحية الزمنية والعددية .

**٥ ـ بينه وبين صموئيل بن النغرالي ( النغريلة ) :**

وكان من أوائل من لقيه ابن حزم من يهود إسماعيل ـ أو أشموال ـ ابن يوسف الكاتب المعروف بابن النغرالي ووصفه بأنه أعلم اليهود وأجدلهم [2] . وأعتقد أن اللقاء بينهما لم يتم في قرطبة وإنما كان بعد هجرة ابن حزم منها ، وقد ذكر ابن حزم نفسه أنه لقيه مرة عام ٤٠٤ هـ ، ونحن نعلم أن ابن النغريلة فارق قرطبة قبل ذلك بقليل وسكن مالقة وهي إحدى البلاد التي زارها ابن حزم ، وربما أقام فيها مدة من الزمن . وفي هذا اللقاء سأله ابن حزم عن قول التوراة « لا تنقطع من يهوذا المخصرة ولا من نسله قائد حتى يأتي المبعوث الذي هو رجاء الأمم » فقال ابن النغرالي : لم تزل رءوس الجواليت ينتسلون من ولد داوود وهم من بني يهوذا وهي قيادة وملك ورياسة ، فقال ابن حزم : هذا خطأ لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود ولا من غيرهم وإنما هي تسمية لا حقيقة لها ولا له قيادة ولا بيده مخصرة ... الخ [3] ثم لم يذكر ابن حزم ماذا كان رد ابن النغرالي عليه .

وفي موضع آخر تساءل ابن حزم عن قول إبراهيم إن سارة أخته ، فقال ابن النغرالي : إن نص اللفظة في التوراة « أخت » وهي لفظة تقع في العبرانية على الأخت وعلى القريبة ، فقال ابن حزم : يمنع من صرفنا هذه اللفظة إلى القريبة هاهنا قوله : لكن ليست من أمي وإنما هي بنت أبي . فوجب أنه أراد الأخت بنت الأم ، قال : فخلط ( أي ابن النغرالي ) ولم يأت بشيء [4] .

وتاريخ اللقاء بين ابن حزم وابن النغرالي يدل على أن اهتمام ابن حزم بشؤون الملل

---

(١) رسائل ابن حزم (١٩٨٠) ١ : ١١٤ .
(٢) الفصل ١ : ١٣٥ . ١٥٢ .
(٣) الفصل ١ : ١٥٢ ـ ١٥٣ .
(٤) الفصل ١ : ١٣٥ .

الأخرى بدأ في دور مبكر ، وما زال ينمو حتى تمثل على أتمه فيما حواه كتاب الفصل من ذلك .

## ٦ ـ على من يرد ابن حزم في هذه الرسالة ؟

ذكر ابن بسام إسماعيل بن النغريلي ونسب إليه ما ينسبه آخرون إلى ابنه يوسف . وتابعه على ذلك ابن سعيد في المغرب ويبدو أن النص مضطرب وأنه يجب أن نضع كلمة يوسف حيث وردت كلمة إسماعيل [١] ، أما إذا انصرف الكلام على وجهه حسبما يذكره ابن بسام فإن إسماعيل كتب رداً على أبي محمد بن حزم [٢] . ولست أستبعد أن يكون إسماعيل قد اطلع على أجزاء من الفصل تتعلق بالتوراة وكتب رداً عليها ، ولكن هل هذا الرد هو الذي أثار ابن حزم لكتابة رسالته هذه ؟

يقول ابن حزم في هذه الرسالة : « ولعمري إن اعتراضه الذي اعترض به ليدل على ضيق باعه في العلم وقلة اتساعه في الفهم على ما عهدناه عليه قديماً » فقوله « عهدناه قديماً » يدل على سابق معرفة به ، ونحن لا نعرف لابن حزم صلة بيوسف ـ الابن ـ وكل ما أشار إليه في الفصل هو صلته بإسماعيل ولكن نستبعد أن يكون إسماعيل هو مؤلف كتاب في تناقض القرآن لأن المصادر كلها تجمع على أنه كان بعيد النظر حسن المداراة لا يتورط فيما يوغر عليه الصدور ، وهذه صفات عري منها ابنه يوسف . وإليه يمكن أن ينصرف قول ابن بسام : « وجاهر بالكلام في الطعن على ملة الإسلام » [٣] وإليه يمكن أن ينصرف قول ابن سعيد : وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغنى بها [٤] ثم إن ابن حزم قد شهد لإسماعيل بالعلم والقوة على الجدل . ومهما نقل إن هذا شيء نسبي فلسنا نستطيع أن ننكر شهادة المصادر الأخرى له .

أغلب الظن ـ إذن ـ أن الذي كتب كتاباً في تناقض كلام الله ـ بزعمه ـ هو يوسف وأن ابن حزم يرد عليه وأن قوله « عهدناه عليه قديماً » يشير حقاً إلى معرفة سابقة لا نعرفها . ويجب أن أقرر أن ابن حزم لم يذكر ابن النغريلة نصاً في هذه الرسالة وإنما أشار إلى أنه رجل من يهود يعمل في ظل ملك ضعيف وأنه استشعر البطر وشمخت نفسه لكثرة أمواله وأنه قليل العلم سيّء الفهم . وكل هذه الصفات مما يمكن أن تلصق

(١) الذخيرة ١/٢ : ٧٦٧ وما بعدها .
(٢) الذخيرة ١/٢ : ٧٦٦ .
(٣) الذخيرة ١/٢ : ٧٦٦ .
(٤) المغرب ٢ : ١١٤ .

بيوسف لا بابيه إسماعيل .

ولما كان يوسف قد خلف أباه على الوزارة حوالي سنة ٤٥٠ أو التي بعدها ـ في الأرجح ـ فقد يقترن تطاوله على القرآن الكريم بشموخ نفسه في ارتقائه إلى خطة الوزارة أي أنه كتب ذلك بين عامي ٤٥٠ ـ ٤٥٥ ، وأن رسالته كانت معروفة قبل سنة ٤٥٦ وهي السنة التي توفي فيها ابن حزم ( في شعبان منها ) وابن حزم لم يظفر برسالة ابن النغريلة وإنما ظفر بردّ عليها ، وهذا ربما دلّ على أن الزمن بين كتابة تلك الرسالة وصدور رسالة ابن حزم قد تطاول . ولعل تاريخ ردّ ابن حزم لا يعدو أن يكون بين سنتي ٤٥٣ ـ ٤٥٥ ، ومهما يكن من شيء فإن هذا الكتاب الذي صدر عن ابن النغريلة كان في أساس الثورة عليه بالإضافة إلى إساءاته الأخرى وربما كان لشيوع ردّ ابن حزم وردّ عالم آخر قبله بين الناس دور في تحريك النفوس ضدّه ، وما كانت الصيحة التحريضية التي أطلقها أبو اسحاق الألبيري إلا تتويجاً لذلك التفاعل الذي كان يتحرك في المشاعر .

### ٧ ـ طريقة ابن حزم في الرد :

تنقسم هذه الرسالة في قسمين : الأول : المشكلات التي أثارها ابن النغريلة ورد ابن حزم على كل مشكلة منها ، وتقع في ثمانية فصول ـ كما سماها ابن حزم ـ وهو لا يكتفي بالرد بل يشفعه بانتقاد إحدى المسائل التي وردت في التوراة لافتاً ابن النغريلة إلى أن بيته من زجاج ؛ وتشغل هذه الفصول الفقرات ١ ـ ٣٣ ؛ وفي القسم الثاني ناقش ابن حزم بعض ما يسميه « الطوامّ » التي وردت في كتب يهود ، وهو الجانب الذي أفاض فيه في كتاب الفصل . واعتذر في ختام الرسالة عن إيراد شنع اليهود بمثل ما اعتذر به في الفصل فذهب إلى أن الله تعالى قصّ علينا من كفرهم ، فاقتدى هو بكتاب الله في ذلك .

وهذه الرسالة شاهد آخر يضاف إلى غيره من الشواهد التي تدل على كراهية ابن حزم لملوك الطوائف : « وبالله تعالى نعوذ من الخذلان ومن معارضة الله تعالى في حكمه بإرادة إعزاز من أذله الله تعالى[1] » . وفاتحة الرسالة أيضاً تشير إلى تشاغل أهل الممالك عن إقامة دينهم ، وهذا ما عرض له ابن حزم بشيء من التفصيل في رسالة التلخيص لوجوه التخليص .

---

(١) الفقرة ٦٣ من الرسالة .

# ١ـ رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي.

## - ١ -

## [ ٤٧ ـ أ ب ] رد أبي محمد بن حزم على ابن النغريلة اليهودي لعنه الله

### بسم الله الرحمن الرحيم
### وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال أبو محمد علي بن أحمد بن حزم رضي الله عنه :

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وسلم تسليماً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم :

١ ـ اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم ، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم ، وبجمع أموال ربما كانت سبباً إلى انقراض أعمارهم وعوناً لأعدائهم عليهم ، وعن حياطة ملتهم التي [ بها ] عزّوا في عاجلتهم وبها يرجون الفوز في آجلتهم حتى استشرف لذلك أهل القلة [1] والذمة ، وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك بما لو حقَّقَ النظرَ أربابُ الدنيا لاهتموا بذلك ضعفَ همنا ، لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء والحمية للملة الغراء ، ثم هم مترددون بما يؤول إليه إهمال هذا الحال من فساد سياستهم والقدح في رياستهم ، فللأسباب أسباب ، وللمداخل إلى البلاء أبواب ، والله أعلم بالصواب . وقد قال علي بن العباس [2] :

لا تحقرنّ سُبَيْباً ... كم جرَّ أمراً سُبَيْبُ

وقال أبو نصر ابن نباتة [3] :

---

(١) ص : العلة .

(٢) هو ابن الرومي . والبيت في ديوانه : ١٨٣ ( اختيار كامل كيلاني ) والرواية فيه : كم جرَّ نفعاً سبيب ؛ وانظر أيضاً ديوانه الكامل ١ : ١٤٦ .

(٣) أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي (٣١٧ ـ ٤٠٥) من مقدمي شعراء عصره ؛ انظر ترجمته في اليتيمة ٢ : ٣٨٠ وابن خلكان ٣ : ١٩٠ وتاريخ بغداد ١٠ : ٤٦٦ ؛ وقد نشر ديوانه ( بغداد ١٩٧٧ ) بتحقيق عبد الأمير الطائي والبيتان فيه (٢ : ٧٠٣) وفي اليتيمة ٢/٣٩٥ والإعجاز والإيجاز : ٢٣٥ وحماسة الظرفاء : ٢٠١ ونهاية الأرب ٣ : ١٠٨ .

فلا تحقرنَّ عدواً رماكَ وإن كان في ساعديه قِصَرْ
فإن السيوف تجذُّ [1] الرقابَ وتعجز عما تنالُ الإبَرْ

لا سيما إن كان العدوُّ من عصابة لا تحسن إلا الخبث مع مهانة الظاهر فيأنس المغترُّ إلى الضعف البادي ، وتحت ذلك الختل والختر والكيد والمكر ، كاليهود الذين لا يحسنون شيئاً من الحيل [2] ولا آتاهم الله شيئاً من أسباب القوة وإنما شأنهم [3] الغش [ ١٤٨/أ ] والتخابث والسرقة ، على التطاول والخضوع ، مع شدة العداوة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ وبعد فإن بعض من تقلى قلبه [4] للعداوة للإسلام وأهله وذُرِّبَتْ كبده ببغضه الرسول صلى الله عليه وسلم من متدهّرة الزنادقة المتستّرين بأذلِّ الملل وأرذلِ النحل من اليهود التي استمرت لعنة الله على المرتسمين بها ، واستقر غضبه عز وجل [ على ] المنتمين إليها ، أطلق الأشَرُ لسانه ، وأرخى البطرُ عنانه ، واستشمخت لكثرةِ الأموالَ لديه بنفسُهُ المهينةُ ، وأطغى توافرُ [5] الذهب والفضة عنده همَّتَهُ الحقيرةَ ، فألَّفَ كتاباً قصد فيه ، بزعمه ، إلى إبانة تناقض كلام الله عز وجل في القرآن اغتراراً [6] بالله تعالى أولاً ، ثم بملكٍ ضعفةٍ [7] ثانياً ، واستخفافاً بأهل الدين بدءاً ، ثم بأهل الرياسة في مجانة [8] عَوْداً ؛ فلما اتصل بي أمر هذا اللعين لم أزل باحثاً عن ذلك الكتاب الخسيس لأقومَ فيه بما أقدرني الله عز وجل عليه من نصر دينه بلساني وفهمي ، والذبِّ عن ملته ببياني وعلمي ، إذ قد عدمها ، والمشكى إلى الله عز وجل ووجود الأعوانَ والأنصار على توفيةِ هذا الخسيسِ الزنديق المستبطن مذهب الدهرية في باطنه ، المتكفن بتابوت اليهودية في ظاهره ، حقَّه الواجبَ عليه من سفك الدماء واستيفاء ماله وسَبْي نسائه وولده ، لتقدُّمه طَوْرَهُ وخلعه الصَّغَار عن عنقه ، وبراءته من

---

(١) اليتيمة : فإن الحسام يجز ؛ وفي ص : تحد .
(٢) الحيل : كذا ، ولعله : الحول .
(٣) ص : ياتهم .
(٤) ص : فعلى ولبه .
(٥) ص : نوافر .
(٦) ص : أعتزازاً .
(٧) ص : يملك ضعفه .
(٨) ص : مكانة .

الذمة الحاقنة [1] دمه ، المانعة من ماله وأهله ، وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل . فأظفرني القدر بنسخة رد فيها عليه رجل من المسلمين ، فانتسخت الفصول التي ذكرها ذلك الرادُّ عن هذا الرذل الجاهل ، وبادرت إلى بطلان ظنونه الفاسلة بحول الله تعالى وقوته ؛ ولعمري إن اعتراضه الذي اعترض به ليدلُّ على ضيق باعه في العلم ، وقلة اتساعه في الفهم على ما عهدناه عليه [ ١٤٨ ب ] قديماً ، فإننا ندريه عارياً إلا من المخرقة ، سليماً إلا من الكذب ، صفراً إلا من البهت ؛ وهذه عقوبة الله تعالى المعجلة لمن سلك مسلك هذا الزنديق اللعين مقدمةً ، أما ما أعدَّ الله له ولأمثاله من الخلود في نار جهنم [ فهو ] المقرُّ لعيون أولياءِ الله عز وجل فيه وفي ضُرَبائه ، وبالله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٣ ـ **الفصل الأول** : فكان أولَ ما اعترض به هذا الزنديق المستسر باليهودية ، على القرآن بزعمه أن ذكر [ قول ] لله عز وجل : ﴿وإنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهمْ سيئةٌ يقولوا هذه من عندك﴾ ( النساء : ٧٨ ) قال هذا المائق [2] الجاهل : فأنكر في هذه الآية تقسيم القائلين بأن ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة فمن عند محمد ، وأخبر أن كل ذلك من عند الله ؛ قال : ثم قال في آخر هذه الآية : ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ ( النساء : ٧٩ ) قال هذا الزنديق الجاهل : فعاد مصوِّباً لقولهم ومضاداً لما قدّم في أول الآية .

٤ ـ قال أبو محمد بن حزم : لو كان لهذا الجاهل الوقاح أقلُّ بسطةٍ أو أدنى حظ من التمييز لم يعترض بهذا الاعتراض الساقط الضعيف ، والآية المذكورة مكتفية بظاهرها عن تكلف تأويل ، مستغنية ببادي ألفاظها عن تطلُّبِ وجهٍ لتأليفها ، ولكنَّ جهله أعمى بصيرته وطمس إدراكه . وبيان ذلك أن الكفار كانوا يقولون : إن الحسنات الواصلة إليهم هي من عند الله عز وجل وان السيئات المصيبة لهم [3] في دنياهم هي من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، فأكذبهم الله تعالى في ذلك ، وبيَّنَ وجه ورودِ حسنات الدنيا وسيئاتها على كلٍّ من فيها بأن الحسنات السارة هي من عند الله تعالى بفضله على الناس ، وأن كل سيئة يصيب الله تعالى بها إنساناً في دنياه فمن [ ١٤٩/أ ] قبل نفس المصاب بها بما يجني على نفسه من تقصيره فيما يلزمه من أداء حق الله تعالى الذي لا

---

(١) ص : الخافتة .

(٢) ص : المالق .

(٣) ص : إليهم .

يقوم به أحد . وكل ذلك من عند الله تعالى جملة ، فأحد الوجهين (١) وهو : الحسنات فضل من الله تعالى مجرد لم يستحقَّه أحدٌ على الله تعالى إلا حتى يفضِّل به عز وجل من أحسن إليه من عباده ، والوجه الثاني وهو السيئات تأديب من الله تعالى أوجبه على المصاب بها تقصيره عما يلزمه من واجبات ربه تعالى .

٥ ـ ولا يستوحشنَّ (٢) مستوحشٌ فيقول : كيف يكون النبي صلى الله عليه وسلم المخاطبَ بهذا الخطاب مُقَصِّراً في أداء واجب ربه تعالى ؟ فليعلم أن التقصير ليس يكونُ معصيةً في كلِّ وقت ، وإنما يكون النبي عليه السلام منزهاً عن تعمد المعصية صغيرها وكبيرها . وأما تأدية شكر الله تعالى وجميع حقوقه على عباده فهذا ما لا يستوفيه مَلَكٌ ولا نبيّ فكيف مَنْ دونهما ، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحدكم لا يدخل الجنة بعمله » فقيل له : ولا أنت يا رسول الله ؟ فقال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » (٣) ، أو كما قال عليه السلام .

٦ ـ فإنما أنكر الله تعالى على الكفار في الآية المتلوّة آنفاً قولهم للنبيّ عليه السلام : إن ما أصابهم من سيئة فهي منك يا محمد ، وأخبر عز وجل أنها من عند أنفسهم ، وأن كل ذلك من عند الله تعالى ؛ فلم يفرّق المجنون بين ما أوجبه الله تعالى من أنَّ كلَّ من أصابته سيئة فمن نفسه ، وبين ما ذكر الله تعالى من قول الكفار لمحمد صلى الله عليه وسلم : إن ما أصابهم من سيئة فمنك يا محمد . فأيّ ظلم يكون أعظم مِنْ ظلم مَنْ جهل أن يفرِّق بين معنيي هذين اللفظين ؟

٧ ـ وإنما كان الكفار يتطيرون بمحمد صلى الله عليه وسلم عندما يَرِدُ عليهم من نكبة تعرض لهم (٤) بكفرهم وخلافهم له عليه [ ١٤٩ ب ] السلام ، كما تطيَّر إخوانهم قبلهم بموسى صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى حاكياً عنهم قولهم : ﴿ فإذا جاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قالوا لنا هذهِ وإن تُصِبْهُمْ سيّئةٌ يطَّيروا بموسَى وَمَنْ معه ألا إنَّما طائِرُهُمْ عند الله﴾ ( الأعراف : ١٣١ ) . وما أرى هذا الزنديق الأنوك إذ (٥) اعترض بهذا

---

(١) ص : إلا لو أحد الوجهين .

(٢) ص : يستوحش .

(٣) ورد الحديث في البخاري ( رقاق : ١٨ ) ومسلم ( منافقون : ٧١ ـ ٧٣ ) وابن ماجة ( زهد : ٢٠ ) وفي مواضع كثيرة من مسند أحمد ، انظر مثلاً ٢ : ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٣١٩ ....

(٤) ص : تعرضهم .

(٥) ص : إذا .

الاعتراض كان إلا سكران سكر الخمر ، وَسُكْرَ عُجْبِ الصغير إذا كبر ، والخسيسِ إذا أشر ، والذليلِ الجائع إذا عزَّ وشبع ، والسفليّ إذا أمر وشط ، والكلب إذا دُلِّلَ ونشط ، فإن لهذه المعاني مسالك خفية (١) في إفساد الأخلاق التي تقرب من الاعتدال . وكيف بخلق سوء متكرر في الخساسة والهجنة والرذالة والنذالة واللعنة والمهانة ؟

ولله در القائل (١) :

[إذا أنت أكرمت الكريم ملكته] وإن أنت أكـرمت اللئيم تمـردا
ووضعُ الندى في موضع السيفِ بالعــلا مضرٌّ كوضعِ السيفِ في موضع الندى

وهذا الذي قلنا هو المفهوم من نصِّ الآية دون تزيُّدٍ ولا انتقاصٍ ولا تبديلِ لفظٍ ، والحمد لله رب العالمين كثيراً .

٨ ـ ولكن لو تذكر هذا المائق الجاهل ما يقرأونه في كفرهم المبدّل وإفكهم المحرَّف بأخرق تحريف وأنتن معانٍ ـ حاشا ما خذلهم الله تعالى في تركه على وجهه ليبديَ فضائحهم ، فأبقوه تخبيثاً من الله تعالى لهم ليكون حجةً عليهم ، من ذكر عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ـ في كتابهم الذي يسمونه : « التوراة » إذ يقولون فيهِ في السفر الرابع عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال مخاطباً لله عز وجل (٢) : « يا ربِّ كما حلفتَ قائلاً : الربُّ وديع ذو حن عظيم يعفو عن الذنب والسيئة وليس ينسى شيئاً من المآثم ، الذي يعاقبُ بذنب الوالد الولد في الدرجة الثانية والرابعة » . ويقرأون فيه أيضاً في أول السفر الأول (٣) : « إن قاين ابن آدم عاقبه الله في السابع من ولده » ثم يقرأون في الكتاب المذكور نفسه في السفر [ ١٥٠ و ] الخامس منه : « إن الله تبارك وتعالى قال لموسى : لا تقتل الآباء لأجل الأبناء ، ولا الأبناء لأجل الآباء ، ألا كلُّ واحدٍ يُقْتَلُ بذنبه » ـ فلو تفكر هذا الجاهل المائق وعظيم التناقض لشغله عظيم مصابه عن أن يظنَّ بقول الله تعالى الذي هو الحق الواضح الواحد غير المختلف : ﴿قُلْ كلٌّ مِنْ عندِ الله فما لهؤلاءِ القومِ لا يكادُونَ يفقهونَ حديثاً * ما أَصابَكَ من حَسَنةٍ

---

(١) ص : خفيفة .

(٢) هو المتنبي ، والبيتان في ديوانه : ٣٦١ .

(٣) عدد ١٤ : ١٧ ـ ١٨ « فالآن لتعظم قدرة سيدي كما تكلمت قائلاً الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرئ بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع » .

(٤) ان قاين ولد آدم ... الخ : ليس هذا كذلك في ( ع ) التكوين ٤ : ٢٣ وفيه : لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه . وقد أخبرني الدكتور عبد المجيد عابدين بأن النص العبري يعني سبعة أضعاف حيثما ورد في أسفار العهد القديم .

فمنَ الله وما أصابكَ مِنْ سيئةٍ فمن نَفْسِكَ﴾ وهذا قد بيَّناه كما مَرَّ آنفاً أنه لا مجاز للتناقض فيه أصلاً ، وإنما التناقض المحض ما نسبوا إلى موسى عليه السلام من أنه قَدّر بربه أنه يغفر الذنب لفاعله ، ويعاقبُ بذلك الذنب من كان من ولد المذنب في الدرجة الرابعة ، ثم يقول في مكان آخر : أن لا تقتل الأبناء لأجل الآباء ولا الآباء لأجل الأبناء ، هذا مع إقرارهم بأنه ليس في التوراة ذِكْرُ عذابٍ ولا جزاءٍ بعد الموت أصلاً ، وإنما فيها الجزاءُ بالثواب والعقاب في الدنيا فقط ، فهذا هو التناقض المجرد الذي لا خفاء به ، وبالله تعالى التوفيق .

٩ ـ **الفصل الثاني** : وكان مما اعترض به أيضاً أن ذكر قولَ الله تعالى : ﴿أم السماء بناها رَفعَ سَمْكَهَا فسوَّاها وأغْطَشَ ليلَها وأخرجَ ضُحاهَا والأرضَ بعد ذلك دَحَاها أخرجَ منها ماءها وَمَرْعَاهَا والجبالَ أرساها﴾ ، ( النازعات : ٢٧ ـ ٣٢ ) قال : فذكر في هذه الآية [ أن ] دَحْوَ الأرض وإخراجَ الماءِ والمرعى منها كان بعد رَفْع سَمْكِ السماء وبعد بنائها وتسويتها وإحكام ليلها ونهارها ، ثم قال في آية أخرى : ﴿هُوَ الذي خلقَ لكم ما في الأرضِ جميعاً ثم استوى إلى السماءِ فسوَّاهنَّ سَبْعَ سموات ، وهو بكلِّ شيءٍ عليم﴾ ( البقرة : ٢٩ ) قال : فذكر [ في ] هذه الآية ضدَّ ما في الأولى ، وذلك أن هذه التسوية للسماء كانت بعد خلق ما في الأرض .

١٠ ـ قال أبو محمد : والقول في هذا كالقول [ ١٥٠ ب ] في التي قبلها ولا فرق وهو : أن بظاهر هاتين الآيتين يُكْتَفَى عن تطلب تأويل أو تكلف مخرج وهو : أنه تعالى ذكر في الآية التي تلونا أولاً أنه عز وجل بنى السماءَ ورفع سَمْكَها وأحكم الدور الذي به يظهر الليل والنهار ، وأنه بعد ذلك أخرج ماء الأرض ومرعاها وأرسى الجبال فيها . وذكر تعالى في الآية الأخرى أن تسويته تعالى السمواتِ سبعاً وتفريقه بين تلك الطرائق [1] السبع التي هي مدار الكواكب المتحيرة والقمر والشمس كان بعد خلقه كلَّ ما في الأرض . فلم يفرق هذا الجاهل المائق بين قوله تعالى : إنه سوى السماء ورفع سمكها وبين قوله تعالى : إنه سوَّاهنَّ سبع سموات . فهل بعد هذا العمى عمى ، وبعد هذا الجهل جهل ؟

١١ ـ وإنما أخبر تعالى أن تسوية السماء جملة واختراعها كان قبل دحو الأرض ، وأن دحوه الأرض كان قبل أن تقسم السماء على طرائق الكواكب السبع ، فلاح أن

(١) ص : الطرائف .

الآيتين متفقتان يُصَدِّقُ بعضهما بعضاً . ولكن ليذكرْ هذا الجاهل على ما يفتتحون به كذبهم المفترى وبهتانهم المختلق الذي يسمونه « التوراة » إذ يفترون [1] أن الله تعالى خلق إنساناً مثله ، ولم يكن انفرد عنه تعالى إلا بشيئين : علم الشر والخير ، ودوام الخلود والحياة ، وأن آدم صلوات الله وسلامه عليه أكل من الشجرة التي فيها علم الخير والشر ، فلما خالفه عظم ذلك عليه ؛ قال : هذا آدم أكل من الشجرة التي بها يكون علم الخير والشر فساوانا في ذلك ، فإن أكل من شجرة الحياة حصل على الخلد فكان مثلنا لا فضل لنا عليه ، فجعل يخرجه من الجنة وفي يده سيفٌ يذود به عن شجرة الحياة [2] . حتى لقد انسخف [3] جماعة من نوكاهم إلى أن قالوا : إن الخالق لآدم كان إنساناً من نوع الإنس الذي نحن منه ، حصل على [ ١٥١/أ ] أكل شجرة الحياة فزاد [4] بهاؤه وحصل له الخلد . فلو أن [5] هذا الخسيس الجاهل تبرأ إلى الله تعالى من المظاهرة لهذا الوضع وهذا الاعتقاد الساقط لكان أحظى [6] له . ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يجعل له الخزي والمهانة ، ويؤجل له الخلود بين أطباق النيران المعدة له ولأمثاله ولأشباهه والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

١٢ ـ **الفصل الثالث** [7] : وكان مما اعترض به أيضاً أنْ ذَكَرَ قَوْلَهُ عز وجل ﴿قُلْ أَئِنَكُمْ لتكفُرُونَ بالذي خَلَقَ الأرضَ في يومين﴾ إلى منتهى قوله في الآية نفسها ﴿وَقدَّرَ فيها أقواتَها في أربعةِ أيام سواءً للسائلين﴾ ( فصلت : ١٠ ) قال : فذكر في هذه الآية خَلْقَ الأرضِ في يومين وقدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام ، فهذه ستة أيام ، ثم ذكر قوله تعالى ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ ( فصلت : ١١ ) إلى منتهى قوله تعالى ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سموات في يومين﴾ ( فصلت : ١٢ ) . ثم ذكر قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا السمواتِ والأرضَ وما بينهما في ستةِ أيام﴾ ( ق : ٣٨ ) .

١٣ ـ قال أبو محمد : والقول في هذه الآيات كالقول في التي مضى فيها الكلام

(١) ص : يقرون .
(٢) انظر سفر التكوين ٢ : ٩ ؛ ٣ : ٢٢ .
(٣) ص : إذا انكسف .
(٤) ص : فدار .
(٥) ص : قالوا إن .
(٦) ص : أخطأ .
(٧) ص : السادس .

ولا فرق ، وهي أنها تكتفي بظاهرها عن تكلف تأويل لها ، وأنه لا يَظُنُّ في شيء من هذا كلّه اختلافاً [١] إلا عديمُ العقل سليبُ التمييز مطموسُ عينِ القلبِ ظليمُ الجهل ، لأنه تعالى إنما ذكر خَلْقَ الجميع من السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، فسَّر لنا تعالى تلك الأيام الستة ، فمنها يومان خلق فيهما [٢] الأرض ومنها أربعة أيام قدر في الأرض أقواتها ، وأنه تعالى قضى السموات سبعاً في يومين ، وقد صحَّ بما تَلَوْنَا قبلُ أن تسويته تعالى السمواتِ سبعاً كان بعد خلقه لما في الأرض جميعاً ، فاليومان اللذان خلق [ الله ] تعالى فيهما السموات سبعاً هما اليومان الآخران من الأربعة [ ١٥١ ب ] الأيام التي قدر فيها أقوات الأرض لأن التقدير هو غير الخلق ، لأن الخلق هو الاختراع والإبداع وإخراج الشيء من ليس إلى أيس بمعنى من لا شيء إلى أن يكون شيئاً موجوداً . وأما التقدير فهو الترتيب وإحكام الأشياء الموجودات بعد إيجادها ، وهذه معان لا يعلمها إلا من أعز الله تعالى نفسه من ذوي الهمم الرفيعة ، المترفعة عن مهانة الإساءة ودناءة المعايش ، القاصدة [٣] إلى طلب المعاني الفاضلة [٤] والحقائق المؤدية إلى معرفة الله تعالى ، ومعرفة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والدخول في ظل الإسلام والملة الحنيفية المصحبة من الله تعالى السعدَ في الدنيا والنصرةَ والعزةَ ، المتكفل لها في الآخرة بالفوز بالجنة والقبول والرضوان والريحان ، والحمد لله رب العالمين الذي جعلنا من أهلها ، وإياه تعالى نسأل أن يميتنا عليها حتى نلقاه وهو راض عنا ، آمين . وأما من لم يقطعْ دهره إلا بالسرقة ولا أفنى عمره إلا بالخيانة والغش فبعيدٌ عن إدراك هذه المعاني وفهمها .

١٤ ـ وليت شعري أين كان هذا الخسيس المائق إذ اعترض بهذا الاعتراض على هذه الأنوار الساطعة والحقائق الظاهرة عن التفكر فيما يقرأونه في هذيانهم المخترع وزورهم المفتعل الذي يسمونه « التوراة » إذ يقولون [٥] : إن الله تعالى خلق الخلقَ في ستة أيام ، واستراح في اليوم السابع ؟ وهل تكون الراحة إلا لتعب ونصب قد خارت قواه وضعفت طبيعته ؟ فمثل هذا وشبهه من دينه الخسيس الذي يستتِرُ [٦] به لو تهمّم

(١) ص : اختلافاً .

(٢) ص : فيها .

(٣) القاصدة : غير معجمة في ص .

(٤) ص : الفاصلة .

(٥) انظر سفر التكوين ٢ : ١ .

(٦) ص : يتسر .

بالفكرة فيه ثم بادر إلى التوبة منه والدخول في دين الله تعالى الذي لا دين له سواه ، الذي به بدا الملك على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، والحمد لله رب العالمين [ ١٥٢ و ] .

١٥ ـ **الفصل الرابع** : ثم ذكر الخسيس الجاهل قول الله تعالى ﴿هذا يوم لا يَنْطِقُون ولا يُؤْذَنُ لهم فيعتذرون﴾ ( المرسلات : ٣٥ ) ثم قال في آية أخرى : ﴿يوم تأتي كلُّ نفسٍ تجادلُ عن نفسها﴾ ( النحل : ١١١ ) قال : وهذا تناقض عظيم .

١٦ ـ قال أبو محمد : قد قال بعض العلماء المتقدمين : إن المنع من النطق المذكور في الآية إنما هو في بعض مواقف يوم القيامة ، وأن الجدال المذكور في الآية الأخرى هو موقف آخر مما يتلو ذلك اليوم نفسه ، وهذا قول صحيح يبينه قول الله تعالى قبل الآية المذكورة ، إذ يقول عز وجل : ﴿انطلقوا إلى ما كُنْتُمْ به تُكَذِّبون * انطلقوا إلى ظلٍّ ذي ثلاثِ شُعَبٍ لا ظليل ولا يُغْني من اللهب * إنها ترمي بِشَرَرٍ كالقَصْرِ * كأنه جمالات [1] صفر * وَيْلٌ يومئذٍ للمكذبين * هذا يومَ لا ينطقون * ولا يؤذَنُ لهم فيعتذرون﴾ ( المرسلات : ٢٩ ـ ٣٦ ) فيه بعذر . هكذا نص الآيات متتابعات ، لا فصل بينها [2] ، فصحَّ أن اليوم الذي لا ينطقون فيه بعذر إنما هو يوم إدخالهم النار ، وهو أول اليوم التالي ليوم القيامة الذي هو يوم الحساب ، وهو أيضاً [3] يوم جدالِ كلِّ نفسٍ عن نفسها ؛ وهذا بيانٌ لا إشكال فيه أصلاً .

١٧ ـ وها هنا وجهٌ آخر وهو اتباع ظاهر الآيتين دون تكلُّفِ تأويل إلا أن يأتي بالتأويل نصٌّ آخر أو إجماعٌ من جميع الأمة كلِّها ما بين الأشبونة والقندهار والشحر وأرمينية والمولتان [4] . فنقول وبالله نستعين : إن هاتين الآيتين بَيِّنتان لا اختلافَ بينهما أصلاً ، وإن النطق المنفيَّ عنهم في الآية الأولى والمعذرةَ التي لم يؤذَنْ لهم فيها إنما ذلك فيما عصوا فيه خالقهم تعالى ، كما [5] قال عز وجل في آيةٍ أخرى : ﴿اليومَ نختمُ على أفواهِهِمْ وتكلِّمنا أيديهمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بما كانوا يكسبون﴾ ( يس : ٦٥ ) فلا عذرَ لكافرٍ ولا لعاصٍ أصلاً ولا كلام لهم . وأما الجدال الذي ذكر الله تعالى حينئذ

---

(١) جمالات : هذه هي قراءة أبي عمرو .

(٢) ص : بينهما .

(٣) ص : وهو الذي أيضاً .

(٤) في إعجام الأعلام الواردة هنا اضطراب في ص .

(٥) ص : عما .

[ لكلِّ نفسٍ ] عن نفسها فإنما هو في طلب الناس مظالمهم [ ١٢٥ ظ ] بعضهم من بعض ، فإن الله تعالى لا يضيّعُ شيئاً من ذلك ، على ما صحَّ عن النبي صلى الله عليه [ وسلم ] من أنَّ يوم القيامة يُقِصُّ الشاةَ الجماء من الشاة القرناء (١) . وبيانُ هذا الذي قلنا أن المعذرة إنما هي إلى الله تعالى ، ولا عذر يوم القيامة لمن كفر بالله تعالى أو بنبيٍّ من أنبيائه ، وخالف الإسلام . وهذا هو الذي (٢) يكون يومَ القيامة ولا يعذر عليه أحد . وإنما هو مصدر جادل يجادل جدالاً ، وجادل هو فعل من فاعلين لا ينكر أحدٌ هذا من أهل اللغة ، فالله تعالى لا يجادِل ، وإنما يجادل الناسُ بعضهم بعضاً ، فكلُّ أحدٍ حينئذ يجادل مَنْ ظَلَمَهُ ليقتصَّ منه وهذا ما لا يَعْرَى منه مؤمنٌ ولا كافر ، فاستبان [ معنى ] الآيتين بظاهرهما دون تكلّفِ تأويل ، وبطل ما ظنه هذا الجاهل ، والحمد لله رب العالمين .

١٨ ـ قال أبو محمد : ليس في حماقاتهم المبدَّلة التي يسمونها « التوراة » ذكرُ أجرٍ ولا ثواب لمحسنٍ بعد الموت ولا عقابٍ لمسيءٍ في الدنيا أصلاً ولا في الكتب التي ينسبونها إلى أنبيائهم من هذا قليل ولا كثير . فلو نظر هذا المجنون فيما ينسبونه إلى سليمان عليه السلام في تصويبه دعاءَ امرأة دعت له فقالت : ولا زالت أرواحُ أعدائك يدورُ بها الفلك ؛ وهذا إبطال الثواب والعقاب إلا على معنى التناسخ ومضا [ د ] لما ذكروه عن غيره من الأنبياء إن هنالك ناراً ونعيماً ؛ ومثل ما ينسبونه إليه أيضاً عليه السلام من أنه قال مرة : « إن العالم لا أول له » وأنه قال مرة أخرى : « أنا كنت مع الله تعالى حين خلق الأرضَ والسماء » . فلو أن هذا الجاهل الشقيَّ اشتغل بمثل هذا وشبهه من كذبهم وافترائهم لكان أولى به من تكلُّفِ ما لا يحسن ولا يدري ، مما قد فضحه (٣) الله فيه عاجلاً ، ويخزيه [ ١٥٣/أ ] آجلاً ، والحمد لله رب العالمين .

١٩ ـ **الفصل الخامس** : ثم ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عن ذَنْبِهِ إِنْسٌ ولا جَانٌّ ﴾ ( الرحمن : ٣٩ ) قال : ثم قال في آية أخرى ﴿ فلنسألنَّ الذي أُرْسِلَ إليهم ولنسألنَّ المُرْسَلِينَ ﴾ ( الأعراف : ٦ ) قال : وهذا تناقض .

٢٠ ـ قال أبو محمد : لو فهم هذا المائق الجاهل أدنى فهم لم يجعل هذا تعارضاً ، أما قوله تعالى : ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ فإن [ ما ] بعد هذه الآية

(١) ورد الحديث في مسند أحمد ٢ : ٢٣٥ ، ٣٢٣ ، ٣٦٣ ، ٤٤٢ .
(٢) ص : الذي لا .
(٣) ص : نصحه .

متصلاً بها قوله تعالى : ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبانِ * يُعْرَفُ المجرمون بسيماهم فيؤخَذُ بالنَّواصي والأَقْدَام * فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان * هذه جَهَنَّم التي يُكَذِّبُ بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميمٍ آن * فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبان ﴾ ( الرحمن : ٤٠ ـ ٤٥ ) فصحَّ بهذا النصِّ أن هذا إنما هو في حينِ إيرادهم جهنم التي هي إن شاء الله دارُ هذا الخسيس ذي الظهارة اليهودية والبطانة الدهرية ولا [ ريبَ ] في أنه إذا أُخِذَ بناصيته وقدميه ليهوي بها في النار ، نارِ جهنم ، فإنه لا يُسْأَلُ عن ذنبه [1] يومئذ . وأما قوله تعالى : ( فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ) ، فإنما ذلك في أول وقوفهم يومَ البعث وحين المسألة والحساب . فارتفع التناقضُ الذي لا مَدْخَلَ له في شيء من القرآن ولا في كلام النبيّ صلى الله عليه وسلم .

٢١ ـ ولكنَّ هذا الوقاح المجنون لو تدبر ما في كذبهم المفترى الذي يسمونه « التوراة » في السفر الثاني منه أن الله تعالى قال لموسى بن عمران : إني أرى هذه الأمة قاسية الرقاب دعني لأعقب غضبي عليهم لأهلكهم وأقدمك على أمةٍ عظيمة . ثم ذكروا أن موسى عليه السلام دعا ربه تعالى وقال في دعائه [2] : تذكَّرْ إبراهيمَ وإسرائيل وإسحق عبيدك الذين حلفت لهم بذلك وقلت لهم سأكثر ذريتكم حتى تكونوا كنجوم السماء وأورثهم جميع الأرض التي وعدتهم بها ويملكونها أبداً ، فحنَّ [ ١٥٣ ظ ] السيد ولم يتم ما أراد إنزاله بأمته من المكروه .

٢٢ ـ قال أبو محمد : هذا نصُّ هذا الفصل عندهم . وهذه صفة لا يوصف بها إلاَّ إنسان ضعيفُ النفس ، وفيه البداء ، وأنه تعالى لم يتمَّ ما أراد أن يفعل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٢٣ ـ وفي السفر المذكور إثْرَ هذا أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : « من أذنب عندي سأمحوه من مصحفي ، فاذهب أنت وهذه الأمة التي عهدت إليك فيها ، وسيتقدمك ملك » . ثم بعد شيء يسير ذكر أن الله تعالى قال لموسى : « اذهب واصعد من هذا الموضع أنت وأمتك التي خرجت من أرض مصر إلى الأرض التي وعدتُ بها

---

(١) ص : دينه .

(٢) اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم : أكثر من نسلكم كنجوم السماء ، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد ؛ فندم الرب على الشرِّ الذي قال إنه يفعله بشعبه : ( خروج ٣٢ : ١٣ ـ ١٤ ) .

مُقْسِماً لإبراهيم وإسحق ويعقوب لأورثها نسلهم وأبعث بين يديك ملكا لإخـراج الكنعانيين والأموريين والبرزيين والحيثيين واليبوسيين [١] ، وتدخل في أرض تفيض [٢] لبناً وعسلاً ، لست أنزل معكم لأنكم أمة قاسية الرقاب لئلا تهلك بالطريق . فلما سمع العامة هذا الوعيد الشديد عجَّت تبكي [٣] ولم تأخذ زينتها . فقال لموسى بن عمران [٤] : قل لبني إسرائيل أنتم أمة قد قَسَتْ [٥] رقابكم ، سأنزل عليكم مرة أهلككم فضعوا زينتكم لأعلم ما أفعله بكم . ثم ذكروا جواب موسى عليه السلام لله تعالى على هذا الكلام فقال : وكان يكلم السيدُ موسى عليه السلام فماً لفم ، كما [٦] يكلِّمُ المرءُ صديقه ، فقال موسى بن عمران للسيد : أتأمرني أن أقود هذه الأمة ولا تأمرني ما أنت باعثه معي . فقال له السيد : سيقدمك وجهي وأروح عندك . فقال موسى عليه السلام : إن لم تتقدمنا أنت فلا ترحلنا [٧] من هذا الموضع ، وكيف أعرف أنا وهذه الأمة أنك عنّا راضٍ إذا لم تنطلق معنا ونتشرف بذلك على جميع من سكن الأرض من الأجناس ؟ فقال له : سأفعل ما قلت لأني عنك راض .

٢٤ ـ قال أبو محمد : ففي هذا الفصل من السخف [١٥٤/أ] غير قليل ، وبيان لا يحتمل تأويلاً [٨] ، لأن فيه البداء ، وأنه تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، قال

---

(١) ص : اليوشيين .

(٢) ص : تني .

(٣) ص : عجب تيه .

(٤) وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً : لنسلك أعطيها ؛ وأنا أرسل أمامك ملاكاً وأطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً فإني لا أصعد في وسطك لأنك شعب صلب الرقبة لئلا أفنيك في الطريق . فلما سمع الشعب هذا الكلام السوء ناحوا ولم يضع أحد زينته عليه . وكان الرب قد قال لموسى : قل لبني إسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة إن صعدت لحظة واحدة في وسطكم أفنيتكم ولكن الآن اخلع زينتك عنك فأعلم ماذا أصنع بك ......... ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه ، كما يكلم الرجل صاحبه ... وقال موسى للرب : انظر ، أنت قائل لي أصعد هذا الشعب وأنت لم تعرفني من ترسل معي وأنت قد قلت عرفتك باسمك .... فقال وجهي يسير فأريحك فقال له إن لم يسر وجهك فلا تصدنا من ههنا فإنه بماذا يعلم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك . أليس بمسيرك معنا . فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . فقال الرب لموسى : هذا الأمر أيضاً الذي تكلمت عنه أفعله لأنك وجدت نعمة في عيني وعرفتك باسمك ( خروج ٣٣ ـ ١ ـ ١٧ ) .

(٥) ص : مسحت .

(٦) ص : فما يفهم ما .

(٧) بعد هذه الكلمة لفظة غير مقروءة في ص .

(٨) ص : تأويل .

إنه لا يمضي معهم لكن يبعث معهم ملكاً يبصّرهم بأمر الله تعالى ، فلم يزل به موسى حتى رجع عن ما قال عز وجل وقال : سأمضي معكم ، ولم يقنع موسى بمسير المَلَك معهم إلا بمسير الباري عز وجل معهم . وفي هذا تحقيق النقلة على الباري في الأماكن ، وليست هذه صفة الله تعالى وإنما هي من صفات المخلوقين ؛ وفيه التكليم فماً لفم وتحقيق التجسيم والتناقض على الباري تعالى في كلامه وفعله ، دون تأويل . ولا مخرج لهم من هذا .

٢٥ ـ فلو فكر هذا الوقاح الزنديق في مثل هذا وشبهه لزجره [١] عن التعرض لما لا سبيل له إليه وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل . ولو أن هذا الزنديق المائق كان له أقلّ تحصيل ، لما أقدم على المظاهرة [٢] بهذا الدين الخسيس طرفةَ عين ، ولكنه لم يقره الشيطان من كل ما استبان له من هذا البهتان إلا انسلاخه من جميع الأديان ، وبالله تعالى نعوذ من الخذلان .

٢٦ ـ **الفصل السادس** : ثم ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام : ﴿ فإنْ كنتَ في شكٍّ مما أنزلنا إليكَ الكتابَ فاسألِ الذين يقرءون الكتابَ من قبلك لقد جاءك الحقُّ من ربك ﴾[٣] ، ( يونس : ٩٤ ) قال هذا المجنون : فهذا محمد كان في شك مما ادّعاه .

٢٧ ـ قال أبو محمد : كان يلزم هذا الخسيس [٤] أن لا يتكلم في لغة لا يحسنها ، ولكن أبى الله تعالى إلا أن يكشف سوءته ويبدي عورته . وليعلم أنّ [ إنْ ] في هذه الآية ليست التي بمعنى الشرط ، لأن من المحال العظيم الذي لا يتمثل في فهم من له مسكة أن يكونَ إنسان يدعو إلى دين يقاتل عليه وينازع فيه [٥] أهل الأرض ويدينُ به أهلَ البلاد العظيمة ثم يقول لهم : إني في شك مما أقاتلكم عليه أيها المخالفون [ ١٥٤ ب ] ولستُ على يقين مما أدعوكم إليه وأحققه لكم أيها التابعون ، إلى مثل هذا السخف الذي لا يتصور إلا في مثل دماغ هذا المجنون الجاهل . وإنما معنى « إن »

(١) ص : جرجره .
(٢) ص : الظاهرة .
(٣) فإن كنت في شك ... الآية : انظر الأقوال في تفسيرها . في تفسير الطبري ١١ : ١١٥ ـ ١١٦ وليس فيه أن « إن » هنا نافية بمعنى « ما » . وقال أبو حيان في البحر ٥ : ١٩١ : الظاهر أن إن شرطية ، وروي عن الحسن والحسين بن الفضل أن « إن » نافية ؛ وبهذا يأخذ ابن حزم .
(٤) ص : الخسيف ، ولعلها أيضاً : السخيف .
(٥) ص : في .

ها هنا الجحد فهي هنا بمعنى « ما » وهذا المعنى هو أحد موضوعاتها في اللغة العربية ، كما قال تعالى آمراً [(١)] نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول : ﴿إنْ أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ لقوم يؤمنون﴾ ( الأعراف : ١٨٨ ) بمعنى : ما [(٢)] أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ، كما ذكر الله عز وجل عن الأنبياء أنهم قالوا : ﴿إنْ نحن إلا بَشَرٌ مثلكم﴾ ( إبراهيم : ١١ ) وكما قال تعالى مخبراً عن النسوة إذ رأين يوسف عليه السلام فقلن : ﴿إنْ هذا إلا مَلَكٌ كريم﴾ ( يوسف : ٣١ ) بمعنى : ما هذا إلا ملك كريم ، وكما قال تعالى : ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتَّخذناهُ من لدنَّا إنْ كُنَّا فاعلين﴾ ( الأنبياء : ١٧ ) أي ما كنا فاعلين . فعلى هذا المعنى خاطب نبيه عليه السلام : فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ، ثم قال تعالى فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك بمعنى ولا أعداؤك الذين يقاتلونك من الذين أوتوا الكتاب من قبلك ما هم أيضاً في شك مما أنزلنا إليك بل هم موقنون بصحة قولك وأنك نبيٌّ حق ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا شك عندهم في أن الذي جاءك الحق . ومثل هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿وإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لتزولَ منه الجِبالُ﴾ ( إبراهيم : ٤٦ ) تهويناً [(٣)] له : وكذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ إنْ كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العابدين﴾ ، ( الزخرف : ٨١ ) بمعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أول الجاحدين لا يكون له ولد . فوضح جهلُ هذا المعترض وضعف تمييزه ، والحمد لله رب العالمين .

٢٨ ـ ولو أن هذا الجاهل الأنوك تدَّبر ما في باطلهم المبتدع وهُجْرهم الموضوع الذي يسمونه « توراة » إذ يقول : إن موسى عليه السلام راجع ربه إذ أراد إرساله وقال [(٤)] : من أنا [ ١٥٥ و ] حتى أمضي [(٥)] إلى فرعون ، أرسل من تريد ترسل . وأغضب ربه تعالى بذلك ، وأن يعقوب عليه السلام صارع ربه [(٦)] ليلة بتمامها وهو لا يعرف من هو ، فلما انسلخ الصباح عرف أنه الله ـ تعالى الله عن هذا الحمق من الكفر علواً كبيراً ـ قالوا : فلما عرَّفه أمسكه فقال له ربه : أطلقني ، فقال له يعقوب : لا أطلقك حتى تباركَ عليّ ، فقال له ربه : كيف لا أبارك عليك وأنت كنتَ قوياً

---

(١) ص : أمر .
(٢) ص : إن .
(٣) ص : هويناً .
(٤) فقال موسى لله : من أنا حتى أذهب ، إلى فرعون ، وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر . ( خروج ٣ : ١١ )
(٥) ص : حتى أنه يمضي .
(٦) وأن يعقوب صارع ربه ... الخ : انظر أيضاً الفصل ١ : ١٤١ .

على الله فكيف على الناس ! ثم مسَّ مأبضه [١] ، فعرج يعقوب من وقته فكذلك لا يأكل بنو إسرائيل من عروق الفخذ لأن الله تعالى مَسَّه . ولا يجرؤ [٢] منهم أحد فيقول : إن المصارعَ ليعقوب كان ملكاً ، فإن لفظ اسم المصارع له في توراتهم « إلوهيم » وهذا هو اسم الله تعالى وحدَهُ بالعبرانية ـ فلو أن هذا الجاهل تفكر في مثل هذا وشبهه لعلم أن الحق بأيدي غيرهم وأنهم في باطل وغرور ، وعلى [٣] ضلال وزور ، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله تعالى .

٢٩ ـ **الفصل السابع** : ثم ذكر هذا المائق الجاهل قوله تعالى في وصف العسل : إن فيه شفاء للناس ، فقال : وكيف هذا وهو يؤذي المحمومين وأصحاب الصفراء المحترقة ؟

٣٠ ـ قال أبو محمد : لو كان مع هذا الجاهل الأنوك أقلُّ معرفةٍ بطبائع الإنسان أو فهمٍ مخارج اللغة العربية لم يأتِ بهذا البرسام . أما اللغة فإن الله تعالى لم يقلْ : العسلُ شفاء لكل علة ، وإنما قال تعالى : فيه شفاء للناس ؛ وهذا لا ينكره إلا رقيعٌ سليبُ العقل والحياء أو موسوس ، لأن منافع العسل وشفاءه في إسخانِ المبرودين وتقطيع البلغم وتقوية الأعضاء حتى صار لا يطبخ أكثر الأشربة إلا به ولا يعجن جميعِ اللعوقات إلا به ، وما وصف جالينوس وبقراط ، وهما عميدا أهل الطب ، طَبْخ شيءٍ من الأشربة إلا به جملةً ، وما ذكرا [٤] قط أن [ ١٥٥ ب ] يطبخ شرابٌ بسكر .

٣١ ـ وكيف ينكر هذا الأنوك أن يكونَ العسل شفاء محضاً ، وهي أغلب أموره ، فكيف أن يكون به شفاء ، وهم يصفون عن نبي من أنبيائهم أنه شفى أَكلَةً في عضو إنسان بتين مدقوق وجعله عليه ؟ فإذا كان في التين شفاء من بعض العلل فكيف ينكر هذا الخسيس أن يكون في العسل أشفية كثيرة ؟ وقد وجدنا [٥] في اختلاطهم الذي يسمونه « توراة » عن الله تعالى في عدة مواضع أنه إذا بلغ الغاية في مدح أرض القدس التي وعدهم بها قال : إلا أنها أرض تنبع عسلاً ولبناً ، ووعدهم فيها بأكل عسل

---

(١) ص : ماء بضه .
(٢) ص : يحره .
(٣) ص : علي .
(٤) ص : ذكر .
(٥) ص : وما وجدناهم .

الصخور . أفترى إذ ليس في العسل شفاء أصلاً ، إنما وعدهم تعالى بما فيه الداء والبلاء لا بما فيه الشفاء ، هذا مع إنكار العيان ، وجحد الضرورات في منافع العسل .

٣٢ ـ **الفصل الثامن** : ثم ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى : ﴿ونزّلْنَا من السماءِ ماءً مباركاً﴾ (قٓ : ٩) وقال : كيف يكون مباركاً وهو يهدم البناء ، ويهلك كثيراً من الحيوان ؟

٣٣ ـ قال أبو محمد : من لم يكن مقدار فهمه وعقله إلا هذا المقدار ، لقد عجل الله له العقوبة في الدنيا والحمد لله رب العالمين . وليت شعري أما درى هذا الجاهل أنه لولا شُرْبُ الماءِ لم يكن في الأرض حيوان أصلاً لا إنسان ولا ما سواه ، وأن عناصر جميع المياه الظاهرة على وجه الأرض والمختزنة في أعماقها إنما هي من مواد القَطْرِ النازل من السماء ؟ أما رأى هذا الأنوك أن الأمطار إذا كثرت غزرت العيون وفهقت الأنهار وطفحت البرك وامتلأت الآبار وسالت السيول وتفجرت في الأرض ينابيع ؟ حتى إذا قلّت الأمطار وضعفت العيون ونقصت الأنهار وجفّت [1] البرك والآبار وانقطعت السيول وغارت الينابيع ، خشنت الصدور وفسد الهواء ؟ أما رأى [١٥٦/أ] أنه لا نماء لشيء من النباتِ كلِّه ، منزرعه [2] وصحراويّه ، وجميع الشجر بساتينها وشَعْرائها إلا بالماء النازل من السماء ؟ أما قرأ في هذيانهم الذي يسمونه « توراة » امتنانَ الله تعالى في صفة الأرض المقدسة بأنها لا تُسْقَى من النيل ، كما تسقى أرضُ مصر لكنْ من ماء السماء ؟ أتراه إنما منَّ عليهم بضد البَرَكة لا بالبركة ؟ إن هذا لعجب . أما علم أن الأمطار ترطِّبُ الأجسام وَتَذْهَبُ بقحلها [3] وأن بالماء الذي عنصرُهُ ماءُ السماء تَزَالُ الأوضار وتطيبُ الروائح ولولاه ما عمر العالم ! فحسبكم أيها الناسُ بمقدار هذا الخسيس وجهله وهو عميد اليهود وعالمهم وكبيرهم ، وهذا مبلغه من الجهل والسخف ، ونستعيذ بالله من الجهل والضلالة ، والحمد لله رب العالمين .

٣٤ ـ قال أبو محمد : ها هنا انتهى كلُّ ما ظنَّ المائقُ أنه اعترض به ، قد بان فيه كلِّهِ زورُهُ وجهله واغتراره ، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم نحن إن شاء الله تعالى ذاكرون بحول الله تعالى وقوته قليلاً من كثير من قبائحهم يديرونها وينسبونها إلى الباري تعالى في كتبهم التي طالعناها ووقفنا عليها ، وتضاعف بذلك شُكْرُنا

---

(١) ص : وخفت .

(٢) ص : مزرعه .

(٣) بقحلها : غير معجمة في ص .

لله تعالى على عظيم ما منحنا من نعمة الإسلام والملة التي ابتعث بها محمداً صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً وعلى آله الطيبين والحمد لله على ما أولانا من فضل الإسلام وشرف الإيمان .

٣٥ ـ اعلموا أيها الناس ، علَّمَنَا الله وإيّاكم ما يقرِّبنا منه ويزلف حَظوتنا[(١)] لديه أن اليهود أبهتُ الأمم وأشدُّهم استسهالاً للكذب ، فما لقيتُ منهم أحداً قط مجانباً للكذب القبيح على كثرة من لقينا منهم ، إلا رجلاً[(٢)] واحداً في طول أعمارنا ، فطال تعجبي من ذلك إلى[(٣)] أن ظفرت بسرّهم من ذلك في هذا الباب . وهو أنهم يعتقدون بسخفهم وضعف [١٥٦ ب] عقولهم أن الملائكة الذين يُحصون أعمالَ العباد لا يفقهون العربية ولا يحسنون من اللغاتِ شيئاً إلا العبرانية ، فلا يكتب عليهم كل ما كذبوا فيه بغير العبرانية ، فحسبكم بهذا المقدار من الجهل العظيم والحمق التام !

٣٦ ـ فمن طوامِّهم أن علماءهم يقولون : إن الله عز وجل إنما ستر عن يعقوب أمر يوسُفَ وكونَهُ في مِصْرَ ثلاثةَ عشر عاماً كاملاً ، لأن أولاد يعقوب لعنوا كلَّ من ينقلُ إلى أبيهم أن يوسف حيّ . قالوا : فدخل الله تحت هذه اللعنة إذا أطلع يعقوب على حياة يوسف ، تعالى الله عن إفك هؤلاء المجانين وكفرهم . واغوثاه من عظيم هذا الحمق ! أفيكون في البقر والحمير أو الكلاب أضلُّ من قومٍ هذا مقدار عقولهم ، أن يُجيزوا أن تكونَ لَعْنَة مخلوقٍ تلحق الخالق ؟ اللهم فإنا نحمدك على توفيقك إيانا للإسلام وهدايتك إليه ، ونسألك الثباتَ عليه إلى أن نلقاك مسلمين . برحمتك آمين . ثم العجب أنهم قالوا في إخوة يوسُف إنهم كانوا المخبرين ليعقوب بحياة يوسف ، فهكذا في نصّ الكتاب المسمّى عندهم « التوراة » ، فما نرى اللعنة إلا قد لحقتهم .

٣٧ ـ ثم نجدهم لا يستحيون من أن ينسبوا إلى الأنبياء عليهم السلام أنهم زنوا ، وأنهم من نسل الزنا ، فإن السفر الأول من كتابهم ذلك المسمّى « توراة » : أن يهوذا زنى بامرأة ولده ورشاها على ذلك جدياً من الغنم ، ورهنها بالوفاء بذلك عصاه وزناره وخاتمه . وقد وقفتُ بعضهم على هذا فقال لي : كان ذلك مباحاً عندهم ، فقلت له : إنك تقول الباطل ، إذ[(٣)] ان في توراتهم أن يهوذا[(٤)] الذي جامعها أمر بها أن تحرق

(١) ص : خطوتنا .
(٢) إلا رجلاً : لعلها ، ولا رجلاً .
(٣) ص : إلا .
(٤) ص : يهودياً .

إذ ظهر حملها . فإن كان ذلك ، فلم أمر بحرقها ؟ ثم لا يستحيون أن يقولوا : إن من ذلك الزنا حملت بفارص [1] ابن يهوذا الذي من نسله كان داوود وسليمان عليهما السلام ، وكثير من الأنبياء كعاموص وشعيا وغيرهم .

٣٨ ـ ومن عجائبهم [ ١٥٧/أ ] أنهم يقولون : إن كل نكاح كان على غير حكم التوراة فهو زنا والمتولد منه ولد زنا ، حتى إنهم يبيحون لمن تهوَّدَ من سائر الأديان أن يتزوج أخته [ من ] أبيه . ثم لا يستحيون أن يقولوا إن موسى وهرون أخاه تولدا من نكاح عمران بن قاهث بن لاوي عمته أخت أبيه يوخابد [2] بنت لاوي . وأن سارة أم إسحق كانت أختَ إبراهيم ابنة والده تارح ، وأن سليمان بن داود كان ابنَ امرأةٍ زنى بها داود ، وولدت منه ابناً من الزنا وتزوجها أو زنى المحمى حتى لم يطلقها [3] ويقولون : إن الجمع بين الأختين زنا ، وأن وطء الإماء بملك اليمين زنا ، والمتولد من هذه النكاحات زنا ، وهم يقرُّون أن جميع ولد يعقوب عليه السلام كانوا من أختين نكحهما معاً ، وهما ليّا وراحيل ابنتا لابان ، فولدت له ليا ستة ذكور ، وولدت له راحيلُ يوسف وبنيامين [4] . وأن الأربعة الباقين من ولد يعقوب ولدوا له من زلفاء وبلها ، أمَتَيْ [5] راحيل وليا ، وطئهما بملك اليمين لا بزواج أصلاً ، لأن في توراتهم أن لابان أخذ عليه العهد عند كوم [6] الشهادة أن لا يتزوج على ابنته ، فكلهم من أبناء هذه الولادات . وهاتان مقدمتان تنتج أن جميع بني إسرائيل وجميع اليهود أولاد زنا . فإن قالوا : كان ذلك حلالاً قبل أن يحرم ، أقرُّوا بالنسخ ، وإن قالوا : إن ذلك خاصٌّ لبني إسرائيل مذ أنزلت التوراة ، لزمهم ترك قولهم : إن كل مولود في الأمم بخلاف حكم التوراة فهو ولد زنا ، وعلى كل حال يلزمهم أن أولاد سليمان عليه السلام كانوا أولاد زنا بَحْتٍ ، لأنهم مقرون أنهم كانوا من أبناء العمونيات والموآبيات وسائر الأجناس ، ورؤوس الجواليت إلى اليوم من أبناء من ذكرنا ، تعالى الله تعالى وتنزه أنبياؤه عليهم السلام عن هذه المخازي ؛ وإسحق أبوهم ، وهرون وموسى وداود

(١) ص : بفارض .

(٢) في ( ع ) : يوكابد ، عدد ٢٦ : ٥٨ .

(٣) كذا وردت العبارة ، ولا أدري ما وجه الصواب فيها .

(٤) انظر قصة يهوذا ، ونامار في التكوين : ٣٨ ، وراجع الفصل ١ : ١٤٥ .

(٥) ص : يلها ابني .

(٦) ص : كرم ، وهي التي سميت بالكلدانية سهودفا وبالعبرانية جلعيد ومعناها رجمة الشهادة ( التكوين : ٣١ ) .

وسليمان ويوسف على قول [ ١٥٧ ب ] هؤلاء الكفرة . لعنهم الله . ولدوا [١] لغير رشدة ، لعن الله قائل هذا معتقداً له ومصدقاً له .

٣٩ ـ ومن عجائبهم أنهم يقرُّون في كتابهم المسمى بالتوراة أن السحرة فعلوا بالرقي المصريّ مثلما فعل موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم من قلب العصا حيَّة ، ومن قلب ماء النيل ، ومن استجلاب [٢] الضفادع . حاشا البعوض فلم يقدروا عليه [٣] .

٤٠ ـ قال أبو محمد : لو صح هذا . وأعوذ بالله . لما كان بين موسى عليه السلام والسحرة فرق إلا قوة العلم والتمهُّر في الصناعة فقط . ونحن نبرأ إلى الله تعالى من أن يكون آدمي يقدر بصناعته على خرق عادة . أو قلب عين . وننكر أن الله تعالى يولي ذلك أحداً غير الأنبياء صلى الله عليهم وسلم تسليماً كثيراً ، الذين جعل الله تعالى ظهور المعجزات عليهم شاهداً لصدقهم .

٤١ ـ ومن عجائبهم قولهم في نقل أحبارهم الذي هو عندهم بمنزلة ما قال الأنبياء : إن فرعون كان بنى في المفاز صنماً يقال له باعل صفون [٤] . وجعله طلسماً باستجلاب بعض قوى الأجرام العلوية . ليحيِّر [٥] به كلَّ هارب من أرض مصر . وأن ذلك الطلسم حيَّر موسى وهارون وجميع بني إسرائيل حتى تاهوا أربعين سنة في فحص التيه إلى أن ماتوا [٦] ملوكهم في المفاز . أولهم عن آخرهم . حاشا يوشع بن نون الافراهيمي . وكالب بن يوفنا اليهوذاني [٧] . فتباً وسحقاً لكل عقل يزعم صاحبه أن صناعة آدمية وحيلة سحرية غلبت قوة الله تعالى . وأعجزت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات تائهاً في المفاز حائراً في القفار .

٤٢ ـ ومن تكاذيبهم قولهم في الكتاب الذي يسمونه « التوراة » : ان الله تعالى قال لهم : سترثون الأرض المقدسة وتسكنونها في الأبد . ونحن نقول : معاذ الله أن يقول

---

(١) ص : وولدا .

(٢) ص : استحلاب .

(٣) في قصة موسى وقلب العصا حية وقلب ماء النيل .... الخ انظر سفر الخروج ٨ : ١٨ ـ ١٩٠ « وفعل كذلك العرافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا . وكان البعوض على الناس وعلى البهائم . فقال العرافون لفرعون هذا إصبع الله » ؛ وراجع الفصل ١ : ١٥٤ .

(٤) ص : باغن صفون . والتصويب من الفصل ١ : ٢١٨ .

(٥) ص : ليجير .

(٦) ماتوا : كذا في ص .

(٧) ص : يوقنا اليهوداني ؛ وفي ( ع ) يفنة التنزي . وهو يهوذاني لأنه من سبط يهوذا .

الله تعالى الكذب ، وقد ظهر كذبُ هذا الوعد ، فما سكنوه في [ ١٥٨/أ ] الأبد وما عمروه إلا مدةً يسيرة من آباد الأبد ، ثم أخلوه وأخرجوا عنه وورّثَهُ الله أمةَ محمد صلى الله عليه وسلم .

٤٣ ـ ومن عجائبهم قولهم فيه : إن الله عز وجل قال لموسى : إذا أراد بنو إسرائيل الخروجَ عن مصر أن يأخذ أهلُ كلِّ بيت من بني إسرائيل خروفاً أو جدياً (١) ويذبحونها مع الليل ويأخذون من دمائها ويمسّون بها أبوابهم وعتب بيوتهم ، ثم قال : قلت سأمسح بأرض مصر هذه الليلة ، وأهلك كل بكر ولد بأرض مصر من أبكار الآدميين وبكور (٢) نتاج المواشي ، وأحكم في مصر أنا السيدُ وعند ذلك يكون الدماء . الدم لكم في البيوت التي تكونون فيها ، فإذا نظرت إلى ذلك تجاوزكم ولا يصل إليكم ضرّ . ثم قال بعد أسطار حاكياً عن موسى أنه قال لبني إسرائيل (٣) : اذهبوا وليذبح أهل كل بيت منكم الضأن ، وعيِّدوا واصبغوا في دمائها رانا (٤) ، ورشوا به أبوابكم وأعتابكم ولا يخرج أحدٌ عن باب بيته إلى الصبح ، فإن السيد سيمسخ ويهلك المصريين ، فإذا نظر إلى الدم على العتب وفي الأبواب لم يجاوز الباب ، ولا يأذن للقاتل (٥) بالدخول إلى بيوتكم وقتلكم .

٤٤ ـ قال أبو محمد : فيكون أسخف من عقول [ من ] ينسبون إلى الله تعالى مثل هذا الكلام الفاسد ؟ أو ترى الله عز وجل لا يعرف أبوابهم حتى يجعل عليها علامات ؟! إن هذا لعجب . لو عقل هذا المجنون لشغله هذا السخام الذي في دينه الذي يباهي به ، عن التعرض للحقائق يروم إبطالها ، فكان كما قال الله عز وجل : ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمٌّ نوره ولو كره الكافرون﴾( الصف : ٨ ) .

---

(١) ص : وجدياً .

(٢) ص : ويكون .

(٣) تأخذونه من الخرفان أو من المواعز .... ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها .... فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم . وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين . أنا الرب . ويكون لكم علامة الدم على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم ، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر ...... فدعا موسى جميع شيوخ بني إسرائيل وقال لهم : اسحبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح . وخذوا باقة زوفاً واغمسوها في الدم الذي في الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست . وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين ، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب . ( خروج ١٢ : ٥ ـ ٢٣ ) .

(٤) رانا : كذا وردت ولعلها « زوفا » كما ورد في الحاشية السابقة .

(٥) ص : للقبائل ، وفي ( ع ) : المهلك .

٤٥ ـ ومن عجائبهم أنهم يلتزمون أكلَ الفطير في مرور الوقت المذكور في كل عام ولا يلتزمون أكل الخروف ، على ما ذكرنا ، وهم يقرّون في كتابهم أنهم مأمورون بذلك كله . فإن قالوا : إنما أمرنا بذلك ما دمنا [ ١٥٨ ب ] في أرض القدس . قيل لهم : اتركوا أيضاً استعمال أكل الفطير حتى تكونوا في أرض القدس فلا فرق في كتابكم بين الأمر بالفطير والخروف .

٤٦ ـ ومن عجائبهم في الكتاب المسمّى عندهم « التوراة » أن موسى عليه السلام مجّد الله تعالى يوم أغرق فرعون فقال في تمجيده [١] : ذلك قولي ومديحي للسيد الذي صار لي مسلماً ، هذا إلاهي أمجده وإله آبائي أعظمه . السيدُ قاتَلَ كالرجل القادر . أفيسوغ لذي عقل أن ينسب إلى نبيٍّ الله تعالى أنه شبه قوة ربه عز وجل بقوةِ الرجل القادر ؟ وهل في الافتراء أعظم من هذا لو عقلوا ؟

٤٧ ـ ومن عجائبهم قولهم في السفر الثاني من كتابهم [٢] : ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون [٣] رجلاً من المشايخ ، ونظروا إلى إله إسرائيل وتحت رجله كلبة زمرد فيروزيّ . وفي بعض الفصول أن موسى عليه السلام قال ، أو يعقوب [٤] : رأيت الله مواجهةً وسلمت نفسي . مع قولهم إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : من رأى وجهي من الآدميين مات ، ولست تقدر تراني ، لكن سترى مؤخري . فهل في التناقض أعظم من هذا : مرةً يقول من رأى وجهي مات ، ومرة يقول رأيته مواجهةً وسلمت نفسي . وكل ما ذكرنا ففي كتابهم الذي يسمونه « توراة » لا في نقل ضعيف ولا غيره .

٤٨ ـ ومن عجائبهم قولهم في السفر الثاني إن هرون [ أخا ] موسى بإقرارهم قال

---

(١) « الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي ، وهذا إلهي فامجده إله أبي فأرفعه ، الرب رجل الحرب . الرب اسمه ( خروج ١٥ : ٢ ـ ٣ ) وانظر أيضاً كتاب الفصل ١ : ١٦٠ حيث ورد : السيد أمجده كالرجل القادر .

(٢) ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ بني إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ( خروج ٢٤ : ٩ ) وانظر الفصل ١ : ١٦٠ .

(٣) ص : وسيقوى .

(٤) رأيت الله مواجهة ... الخ . انظر الفصل ١ : ١٤١ .

لبني إسرائيل في مغيب موسى (١) : اقلعوا أقراط الذهب عن آذان نسائكم ومواليكم (٢) وأولادكم وبناتكم ، ايتوني بها . ففعلت العامةُ ما أمر به وأتوا بالأقراط إلى هرون ، فلما أُقْبِضَها أفرغها وجعل لهم منها عجلاً ، فلما بصر به هرون بنى مذبحاً بين يديه وصرخ (٣) مسمعاً : غداً عيد السيد (٤) . ثم ذكر بعد فصول بأن موسى عليه السلام وجد بني إسرائيل عراةً بين يدي العجل [ ١٥٩ و ] يتغنون ويرقصون ، وكان عرَّاهم هرون بجهالة قلبه .

٤٩ ـ هذه نصوص كتابهم . أفيسوغ في عقلِ مَنْ له أدنى مسكة أن يكون نبيّ يعمل عجلاً للعبادة من دون الله تعالى ويأمر قومه يعبدوا له ، ويرقص هو وهم تعظيماً للعجل على أنه إلاههم الذي من مصر ؟ وإذا جاز أن يكون عجلاً وثناً ويعبدوه ، جاز لنبيّ آخر أن يزني ، فكيف يصدق في شيء من كلامه ، وما الذي جعل سائر كلامه أولى بالقبول من كلامه وأمره في العجل ؟ وما الذي جعل سائر عمله أصحَّ من زناه وفتحه بيوت الأوثان وتقريب القرابين لها ؟ ولعل سائر ما أمر به وما عمل مفتعل كل ذلك من جنس عمل العجل والزنا . والذي لا شك فيه عندي أن من بدل توراتهم وأدخل فيها مثل هذا ، إنما قصد إلى إبطال النبوة جملة ، وبالله تعالى التوفيق .

٥٠ ـ ومن عجائبهم قولهم في السفر الرابع : إن بني إسرائيل إذ طلبوا أكل اللحم وضجوا من أكل المنّ ، أن الله تعالى قال لموسى (٥) : تقدسوا غداً تأكلون اللحمان ، فأنا أسمعكم قائلين من ذا الذي يعطينا . قد كنا بخير . يعطيكم السيد اللحمان فتأكلون ،

---

(١) إن هارون أخا موسى بإقرارهم ... إلخ : « فقال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هرون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً ... فلما نظر هرون بنى مذبحاً أمامه ونادى هرون وقال : غداً عيد للرب ..... ولما رأى موسى الشعب أنه معرى لأن هرون كان عراه للهزء بين مقاوميه .... إلخ ( خروج ٣٢ : ٢ ـ ٥ . ٣٢ : ٢٥ ) وراجع الفصل ١ : ١٦١ ، وقوله : بجهالة قلبه في الفصل ١ : ١٦٢ .

(٢) ص : وأموالكم

(٣) ص : وبرح .

(٤) ص : السعيد .

(٥) وللشعب تقول تقدسوا للغد فتأكلوا لحماً لأنكم قد بكيتم في أذني الرب قائلين من يطعمنا لحماً . إنه كان لنا خير في مصر . فيعطيكم الرب لحماً فتأكلون تأكلون لا يوماً واحداً ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يوماً ، بل شهراً من الزمان حتى يخرج من مناخركم ويعيد لكم كراهة ..... فقال موسى : ستمائة ألف ماش هو الشعب الذي أنا في وسطه وأنت قد قلت أعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً من الزمان . أيذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم أم يجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم . فقال الرب لموسى : هل تقصر يد الرب . الآن ترى أيوافيك كلامي أم لا . ( عدد ١١ : ١٨ ـ ٢٣ ) .

ليس يوماً واحداً ولا اثنين ولا خمسة ولا عشرة إلا حتى تكمل أيام الشهر ، حتى يخرج على مناخركم وتصيبكم التخم . فقال له [(١)] موسى : هؤلاء هم ستمائة [ ألف ] رجل وأنت تقول : أنا أعطيكم اللحوم طعماً شهراً ، أترى تكثر ذبائح الغنم والبقر فيقتاتون بها ، أو تجمع حيتان البحر معاً لتشبعهم ؟ [ فقال السيد ] : ماذا يهم السيد ؟ أترى السيد عاجزاً ؟ فالآن ترى إن تم قوله . ثم ذكروا أن الله تعالى أنزل السمانى حول العسكر فأكلوا حتى تخموا ومات كثير منهم بالتخمة ، فسمي ذلك الموضع قبور الشهوات [(٢)] .

٥١ ـ قال أبو محمد : فلو تدبر هذا اللعين الجاهل كذبهم في هذا الفصل ، لردعه عن أن يظن بقول الله تعالى لنبيه عليه السلام ﴿فإنْ كنتَ [ ١٥٩ : ب ] في شكٍّ مما أنزلنا إليكَ﴾ ، وليعلم أن الشك المجرد قد نسبوه إلى موسى عليه السلام في هذا الفصل ، فإنه لم يثق بقول ربه ولا صدَّقَ قدرته على إطعام بني إسرائيل اللحم شهراً كاملاً ، وهذا مع ما فيه من الشك المكشوف الذي لا يجوز أن يخرجَ له تأويل يبعده عن الشك ، ففيه من السخف غير قليل ، لأن من رأى شقَّ البحر ، وإنزالَ المنِّ [(٣)] المشبع لهم ، فواجبٌ عليه أن لا يستعظمَ إشباعهم بلحمٍ ينزله عليهم . ولكن الكذب والتوليد لا يكون إلا هكذا ليفضح الله تعالى به أهله . والحمد لله على ما منَّ به علينا من طهارة الإسلام ، ووضوح حُجَّته ، وله الشكر على ما كفانا من دنس الكفر ، وتناقض عُرَاهُ .

٥٢ ـ وبعد هذا الفصل أيضاً في السفر الرابع ما ذكره من قول الله تعالى لموسى عليه السلام إذ ضجَّ بنو إسرائيل من دخول الأرض المقدسة ، قالوا : فقال السيد لموسى ابن عمران [(٤)] : « حتى متى تتناولني هذه الأمة التي لا يؤمنون بي على ما آتيتهم من العجائب التي فعلت أمامهم ، سأضربهم بالوبأ حتى أمسخهم ، وأجعلكَ مقدَّماً على أمةٍ عظيمة أشدَّ قوة من هذه » ، وأن موسى لم يزلْ يرغبُ إلى الله عز وجل حتى قال : قد غفرتُ لك كما سألتني . ففي هذا الفصل من إطلاق الكذب في الحلف على الله

(١) ص : لهم .

(٢) ص : الشهداء وفي ( ع ) قبروت هتأوة أي قبور الشهوة ( عدد ١١ : ٣٤ ) .

(٣) ص : وإنزال البحر المن .

(٤) وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم . إني أضربهم بالوبأ وأبيدهم وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم ( عدد ١٤ : ١١ ـ ١٢ ) وانظر أيضاً ( عدد ١٤ : ٢٠ ) .

عز وجل ما لا يجوز أن ينسب مثله إليه تعالى .

٥٣ ـ وقد ذكرنا في كتابنا الموسوم « بالفصل في الملل والنحل » [١] الفصل الذي في توراتهم في ذكر أنسابهم ، وبيّنا عظيمَ الكذبِ فيه : وهو أنهم ذكروا أن سبعة نفر من بني إسرائيل من ولد قاهث بن لاوي نسلوا ثمانية آلاف ذكر قبل موتهم في التيه ، وأولئك السبعة أحياء قائمون [٢] وهم حينئذ أكثر [٣] ما كانوا . وقد قال بعضهم : إن هذا من المعجزات . فأجبناه بأن المعجزات إنما تكون [ ١٦٠/أ ] للأنبياء عليهم السلام ، وأما لكفّارٍ [٤] عاصين فلا . هذا سوى ما في توراتهم من شرائعهم التي يلتزمونها الآن كالقرابين ، وكمن مسَّ نجساً فإنه ينجس إلى الليل ، ومن حضر على مقبرة ينجس إلى الليل حتى يغتسل كله بالماء . وأما الصلوات التي يصلونها الآن فن وضع أحبارهم ، فيكفيهم أنهم على غير شريعة موسى عليه السلام ولا على شريعة نبي من الأنبياء .

٥٤ ـ ومن طرائفهم قولهم في كتاب لهم : يُعْرَفُ ( بشعر توما ) ان تكسير ما بين جبهة خالقهم [٥] إلى أنفه كذا وكذا ذراعاً . وقالوا في كتاب لهم من « التلمود » ـ وهو فقههم [٦] ـ يسمى « سادر ناشيم » [٧] ومعناه حيض النساء : ان في رأس خالقهم تاجاً من كذا وكذا قنطاراً من الذهب ، وان صديقون [٨] المَلَك هو يُجْلس التاج على رأس خالقهم ، وان في إصبع خالقهم خاتماً تضيء من فصّه الشمس والكواكب .

٥٥ ـ ومن طوامِّهم [٩] قولهم عن رجل من أحبارهم الذين يريدون ، ان من شتم أحداً منهم يقتل ، ومن شتم أحد الأنبياء لا يقتل . فَذُكِرَ عن لعينٍ منهم يدعونه إسماعيل أنه قال لهم ، وكلامه عندهم والوحي سيّان ، فقال : كنت أمشي ذات يوم في خراب بيت المقدس ، فوجدت الله تعالى في تلك الخرب يبكي ويئن كما تئن

---

(١) راجع الفصل ١ : ١٦٥ وما بعدها في مناقشة ابن حزم للأعداد التي تذكر عن بني إسرائيل في العهد القديم .
(٢) ص : نائمون .
(٣) ص : أكفر .
(٤) ص : الكفار .
(٥) أن تكسير ما بين جبهة خالقهم ... إلخ : انظر الفصل ١ : ٢٢١ .
(٦) ص : فقيهم .
(٧) سادر ناشيم . كذا ذكره ابن حزم في الفصل ١ : ٢٢ وقال إن معناه : أحكام الحيض ، ولعل صوابه فيما يرجح الدكتور عابدين هو سادرهناشيم وهذا التركيب معناه أحكام النساء ، لا أحكام الحيض فحسب .
(٨) ص : صندلقون وفي الفصل (١ : ٢٢١) صندلفوت ؛ وفي (١ : ٢٢٣) صندلفون .
(٩) كل ما جاء في هذه الفقرة أورده ابن حزم في الفصل ١ : ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

الحمامة [1] ، وهو يقول [2] : ويلي هدمت بيتي ، ويلي على ما فرقت من بنيّ وبناتي ، قامتي منكسة حتى أبني بيتي وأردَّ بناتي وبنيّ . قال هذا الكلب لعنه الله : ثم قبض الله على ثيابي وقال لي : لا أتركك حتى تبارك عليّ . فباركت عليه وتركني .

٥٦ ـ قال أبو محمد : أُشهد الله تعالى خالقي وباعثي بعد الموت والملائكةَ والأنبياءَ والمرسلين والناسَ أجمعين والجنَّ والشياطين أني كافر بربٍّ يكون بين الخرب ويطلب البركة من كلب من كلاب اليهود . فلعن الله تعالى عقولاً جاز فيها مثل هذا .

٥٧ ـ ومن عجائبهم قولهم في السفر الخامس من توراتهم أن [ ١٦٠ ب ] موسى عليه السلام قال لهم : إن الله تبارك وتعالى يقول لكم [3] : إني لم أدخلكم البلاد لصلاحكم ولا لقوام [ قلوبكم ] ، ولكن لكفر من كان فيها . ثم يقولون في عيدهم [4] الذي يكون في عشر تخلو من أكتوبر ، وهو [5] تشرين الأول ، ساخطين على الله تعالى غِضاباً عليه تعالى إذ قصَّر بهم ولم يؤدِّهم حقهم الذي يجب لهم عليه ـ فيقولون لعنهم الله : إن الميططرون [5] ـ ومعناه الرب الصغير ، تحقيراً [6] لربهم تعالى وتهاوناً به ـ يقوم هذا اليوم قائماً وينتف شعره ويقول : ويلي إذ أخربت بيتي وأيتمت بنيَّ ، قامتي منكسة لا أرفعها حتى أبني بيتي . فهم كما ترى يلعنون ربهم ويصغرونه ويقولون ذلك بأعلى أصواتهم في أكبر أعيادهم وأعظم مجامعهم . فكيف يجتمع هذا الحمق العظيم الذي يحبونه لأنفسهم ، لعنهم الله ، ويرونه واجباً على خالقهم ، مع ما ذكرنا آنفاً من قوله لهم في توراتهم : « لم [7] أدخلكم البلاد لصلاحكم ولا لقوام قلوبكم » ؟ فهل التناقض والفساد والتبديل الظاهر إلا هذا كله لو عقلوا ؟

---

(١) ص : وينين كما تنين .

(٢) الفصل : وهو يقول : الويل لمن أخرب بيته وضعضع ركنه وهدم قصره وموضع سكينته ، ويلي على ما أخربت من بيتي .... إلخ .

(٣) ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل إثم أولئك الشعوب لطردهم الرب إلهك من أمامك ( تثنية ٩ : ٥ ) .

(٤) ثم يقولون في عيدهم .... إلخ : انظر في ذلك كتاب الفصل ١ : ٢٢٣ .

(٥) ص : ومن .

(٥) الميططرون : هكذا وردت هذه اللفظة أيضاً في الفصل ١ : ٣٢٣ . ويعتقد الدكتور عابدين أن الوجه الصحيح من اللفظة هو « ميططيون » وهو لفظ يوناني ومعناه : مصاحب الرب أو الذي يجيء بعده في المرتبة . وربما كان هذا الاصطلاح مستفاداً مما أشار إليه النص العبري الوارد في سفر دانيال ١١ : ٣٨ ومعناه « رب الحرس » ، والحرس هي الأرواح التي تلازم الرب وكانت تعبد ، وربما جعل كل روح منها « رباً صغيراً » .

(٦) ص : وتحقيراً .

(٧) ص : ثم .

٥٨ ـ وفي السفر الخامس أيضاً أن موسى عليه السلام قال لهم [١] : إن السيد إلاهكم الذي هو نارٌ آكلة . وفي موضع آخر من كتبهم أن الله تعالى هو الحمّى المحرقة ؛ وفي الذي يسمونه « الزبور » : احذر ربك الذي قوته كقوة الجريش [٢] . فهذا وشبهه هو الحمق والتناقض وتوليد زنديق سخرَ منهم وأفسد دينهم . وهم يحققون على سليمان عليه السلام أنه بنى بيوتَ الأوثان لنسائه وقرَّبَ لها القرابين ، وهو عندهم نبيّ . وقد مضى الكلام في بطلان كل كلام وعمل يظهر ممن هذه صفته ، وأنه ليس مأموناً ولا صادقاً ، لعنهم الله فإنهم كذبوا على أنبياء الله وافتروا .

٥٩ ـ ويقرءون في السفر الرابع من توراتهم [٣] أن الله تعالى أمرهم أن يضربوا القرنَ ضرباً خفيفاً ، حتى إذا لقوا العدَّو [١٦١/أ] فليضربوا القرنَ بشدة ليسمعه فيبصرهم ، وفي هذا من السخف والكفر غير قليل ، ولكن حق لمن غضب الله عليه وتبرأ منه وألحقه لعنته وألحفه سخطه أن يكون مقدار علمهم وعقولهم التصديق لكل ما أوردنا ، والحمد لله رب العالمين على مننه علينا بالإسلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم.

٦٠ ـ وهم معترفون بأن التوراة طول أيامهم في دولتهم لم تكن عند أحد إلا عند الكاهن وحده ، وبقوا على ذلك نحو ألف ومائتي عام ، وما كان هكذا لا يتداوله إلا واحدٌ فواحد فمضمون عليه التبديل والتغيير والتحريف والزيادة والنقصان ، لا سيما وأكثر ملوكهم وجميع عامتهم في أكثر الأزمان كانوا يعبدون الأوثان ويبرءون من دينهم ويقتلون الأنبياء ، فقد وجب باليقين هلاك التوراة الصحيحة وتبديلها مع هذه الأحوال بلا شك . وهم مقرُّون بأن يهوآحاز [٤] بن يوشيا الملك الداوودي [٥] المالك لجميع بني إسرائيل بعد انقطاع ملوك سائر الأسباط ، بَشَرَ من التوراة أسماءَ الله تعالى

(١) « فاعلم اليوم أن الرب إلاهك هو العابر أمامك ، نار آكلة ( تثنية : ٩ : ٣ ) أما قوله : الحمى المحرقة فلم أهتد إليه ، ولم يرد لفظ « الحمى » في أسفار العهد القديم إلا في موضعين ( تثنية ٢٨ : ٢٢ ولاويين ٢٦ : ١٦ ) وهي لا توصف هنالك بالإحراق ، فلعل في النصّ تحريفاً أو هو منقول من بعض الشروح . أما لفظة « الجريش» فتعني « النافذ » وصفاً للرجل . والنص الذي يشير إليه ابن حزم في المزمور : ٧٧ وليس فيه المعنى الذي أورده ابن حزم .

(٢) الجريش ؛ غير منقوطة في ص . والتصويب من الفصل ١ : ٢٠٦ .

(٣) يقابل هذا في ( ع ) وإذا ذهبتم إلى حرب في أرضكم على عدو يضر بكم تهتفون بالأبواق فتذكرون أمام الرب إلهكم وتخلصون من أعدائكم ( عدد ١٠ : ٩ ) .

(٤) ص : يهوبا جاري . وفي الفصل ( ١ : ١٩٣ ) يهوخار .

(٥) يهوآحاز بن يوشيا الملك الداوودي : انظر الملوك الثاني ٢٣ : ٣١ ، وأخبار الأيام الثاني : ٣٦ ؛ وانظر الفصل ١ : ١٩٣ .

والحق فيها أسماءَ الأوثان . وهم مقرّون أيضاً أن أخاه الوالي بعده وهو الياقم بن يوشيا أحرق التوراة بالجملة وقطع أثرها ، وهو في حال ملكه قبل غلبة بخت نصر عليهم . وهم مقرّون بأن عزرا الذي كتبها لهم من حفظه بعد انقطاع أثرها ، إنما كان ورّاقاً ولم يكن نبياً ، إلا أن طائفة منهم قالت فيه إنه ابن الله ، قد بادت هذه الطائفة وانقطعت . فأيُّ داخلة أعظمُ من هذه الدواخل التي دخلت على توراتهم ؟ وأما القرآن ، فإنه لا يختلف مليٌّ ولا ذِمّيٌّ أنه لم يزل من حين نزوله إلى يومنا هذا مثبوتاً [1] عند الأحمر والأسود لم ينفرد به أحدٌ دون أحد ، بل أبيحَ نسخه لكلٍّ من مضى وجاء ، فنقله نقل كوافّ لا يحصرها عدد ، كنقل أن [ ١٦١ ب ] [ في ] الدنيا بلداً يقال له الهند ، وسائر ما لا يجوز للشك فيه مساغ ولا مدخل ، والحمد لله كثيراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً .

٦١ ـ قال أبو محمد : إن أملي لقويّ وإن رجائي مستحكم في أن يكون الله تعالى يسلّط على من قرّب اليهود وأدناهم وجعلهم بطانة وخاصة ، ما سلّط على اليهود ، وهو يسمعُ كلام الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتّخِذُوا اليهودَ والنصارى أولياءَ بعضُهُمْ أولياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهمْ منكم فإنَّه منهمْ إنَّ الله لا يَهْدِي القومَ الظالمـين﴾ ( المائدة : ٥١ ) ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تتَّخِذُوا بطانةً من دونكم لا يألونكُمْ خبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّم قد بَدَتِ البغضاءُ من أفواههم وما تُخْفِي صُدُورُهُم أكبر﴾ ( آل عمران : ١١٨ ) ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتَّخِذُوا عَدُوّي وعدوَّكم أولياءَ تُلْقُونَ إليهم بالمودَّةِ﴾ ( الممتحنة : ١ ) ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتَّخِذوا الذين اتخذوا دينكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الذين أوتوا الكتابَ مِنْ قبلكم والكفار أولياءَ واتَّقوا الله إنْ كنتم مؤمنين﴾ ( المائدة : ٥٧ ) ، وقوله تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عليهم الذلَّةُ والمسكنة﴾ ( البقرة : ٦١ ) ؛ وقوله تعالى : ﴿ لتجدنَّ أشدَّ الناسِ عداوةً للذينَ آمنوا اليهودَ والذين أشركوا﴾ ( المائدة : ٨٢ ) . فمن سمع هذا كله ، ثم أدناهم وخالطهم بنفسه من ملوك الإسلام فإنه إن شاء الله تعالى قمين [2] أن يُحيقَ الله عز وجل به ما أحاق بهم من الذلة والمسكنة والهوان والصغار والخزي في الدنيا سوى العذاب المؤلم في الآخرة .

---

(١) مثبوتاً ، كذا في ص ، ولعله مبثوثاً .
(٢) ص : من .

٦٢ ـ وإن من فعل ذلك لحريّ [1] أن يشاركهم فيما أوعد الله تعالى في توراتهم في السفر الخامس إذ يقول لهم تعالى [2] : ستأتيكم وسيأتي عليكم هذه اللعنة التي أصف لكم فتكونون ملعونين في مدائنكم وفدادينكم وتلعن أجدادكم وبقاياكم ويكون نسلكم ملعوناً . وتكون اللعنة على الداخل منكم [ ١٦٢/أ] والخارج ، فيبعث الله عليكم الجوعَ والحاجةَ والنَّصَبَ في كلِّ ما عملتْه أيديكم حتى يهلككم ويقلّ عددكم لتخليكم منه . ثم يلقي الوبأ على بقيّتكم ليقطعَ آثاركم من الأرض التي أورثكموها ويبعثُ الربُّ عليكم الجدبَ ويهلككم بالسَّموم والثلوج . ويحيل آثاركم ويطلبكم حتى يندركم ويجعل سماءه فوقكم نحاساً وأرضكم التي تسكنونها حديداً ، فتمطر عليكم الغبار من السماء ، وينزل عليكم الدماء حتى تهلكوا عن آخركم ويُظْفرَ الربُّ بكم أعداءكُم فتدخلون إليهم على طريق واحدة وتنهزمون على سبعة . ويفرقكم في آخر أجناسِ الأمم ، فتكون جيفكم طعم السباع وطيور السماء ولا يكون لهم عنكم دافع . ويبتليكم الربُّ بما ابتلى به المصريين [3] في أدبارهم من الحكة والأكال [4] التي لا دواء له . ويبتليكم الرب بالبلية والغم حتى تماسكوا بالحيطان القليلة كتماسك العميان . ولا تقوموا على إقامة سبلكم فتكونوا في هضيمة طولَ دهر وفي سخرة لا يكون لكم منفذ . ويتزوج أحدكم امرأة فتخالفه إلى غيره ، ويبني أحدكم بيتاً ويسكنه غيره ؛ ويغترس كرماً ويقطفه غيره . ويذبح بين قدمي أحدكم ثوره ولا يطعم منه ، وينزعِ من أحدكم حماره معاينةً ولا يردّ إليه ، وتعطى مواشيكم الأباعد ، ولا تجدون ناصراً على ردّها وَتَغْلِبُ على أولادكم وبناتكم . ولا يكون فيكم قوة للدفع عنهم . وتأكل حبوبكم أجناسٌ تجهلونها وفواكهَ أرضكم . وتكونون مع ذلك في هضيمة أبداً وفي جزع منهم . فيبتليكم الرب بأجناس الأمراض وأضرِها [5] التي لا دواء لها من أقدامكم إلى رؤوسكم . ويذهب [6] بالملك الذي تقدمونه على أنفسكم إلى قوم لم تعرفوهم ولا آباؤكم . لتجدوا [7] عندهم أصنامهم المصنوعة من الخشب والرخام .

---

(١) ص : يجري .

(٢) راجع هذا النص في تثنية : ٢٨ : ١٥ ـ ٥٨ .

(٣) ص : المصرتدين .

(٤) ص : الأكال ( بدون واو ) .

(٥) ص : وضرها .

(٦) ص : فتذهب .

(٧) ص : لتجد . ولعلها لتتخذوا .

وتكونون مثلاً لمن سمع بكم من جميع الأجناس التي أندَركم فيها ، فتزرعون كثيراً وترفعون قليلاً ، لأن الجراد [ ١٦٢ ظ ] يأتي عليه ، وتعمرون كرومكم وتحفرونها ولا تقطفون [١] منها شيئاً ، لأن الدود يأتي عليها . ويكثر زيتونكم ولا تدَّهنون [٢] لأنها لا تعقد ويولد لكم الأولاد والبنات ولا تنتفعون بهم لأنهم يساقون في السبي . ويأتي على جميع فواكه بلدكم القحوط والجدب فلا تنتفعون بها . ومن كان بين ظهرانيكم من [ أهل ] القرى يلعنونكم ولا يشفقون عليكم . فتتواضعون ويكون [٣] الأرذال شتمونكم وتكونون لهم ساقة فيأتي عليكم جميع هذه اللعنات وتتبعكم حتى تَخْزَوْا ، إذ لم تسمعوا للرب إلاهكم ، ولم تحفظوا رسالاته التي عوهدت إليكم . وتكون فيكم العجائب والمسوخ في ذريتكم في الأبد ، إذ لم تقفوا عند أمر الرب إلاهكم بطيب أنفسكم [٤] ، فتخدمون أعداءكم الذين [٥] يبعث الرب عليكم في الجوع والعطش والعري والحاجة ، وتحملون على رقابكم أغلالَ الحديد وتجرُّونها ؛ ويأتي الرب عليكم بجيش من مكان بعيد في سرعة العقبان من الذين لا يكرمون شيخاً ولا يرحمون صغيراً ، فيأكلون نتاجكم وما أنبتت أرضكم ، ولا يدعون لكم سمناً ولا خمراً ولا زبيباً ولا ثوراً ولا شاةً حتى يأتوا عليكم ويخرجوكم من جميع مدائنكم التي يورثكم الرب إلاهكم وتضيق عليكم حتى تأكلوا وسخ أجوافكم ولحوم [٦] أولادكم وبناتكم الذين يولدون [٧] لكم في زمان حصاركم ، فمن كان منكم مترفاً أو متملكاً يمنع أخاه وامرأته لحوم [٨] بنيه شحّاً عليها إذ لا يجد ما يقتاتُ به سواه من شدَّةِ الحصار من أعدائكم لكم . ومن كانت فيكم رَخْصةَ البنان التي لا تقوى على المشي من رخوصتها تحسد زوجها على أكل لحوم أولادها ، والسَّلَى الذي يخرج من فرجها . إذ لا تجد [٩] مطعماً سواه .

٦٣ ـ قال أبو محمد : هذه بشارة من الله تعالى لهم ، ومنحته التي خصهم بها

(١) ص : تقطعون .
(٢) ص : تذهبون .
(٣) ص : وتكون .
(٤) ص : يطلب أنفسكم .
(٥) ص : الذي .
(٦) ص : وتحوم .
(٧) ص : يولدن .
(٨) ص : نحوم .
(٩) ص : يجد .

بإقرارهم ألسنتهم ، وفي كتابهم [ ١٦٣/أ ] الذي يقرءونه . فليتق الله تعالى امرؤ آتاه الله تعالى نعمة من نعمه ، ومنحه عزة ، وليجتنب هؤلاء الأنجاسَ الأنتان الأقذارَ الذين أحاق الله تعالى بهم من الغضب واللعنة والذلة والقلة والمهانة والسخط والخساسة والوسخ ما لم يحق بأمة من الأمم قط . وليعلم أن هذه الكُسَى التي كساهم الله تعالى إياها [1] أعدى من الجرب ، وأسرع تعلقاً من الجذام ، وبالله تعالى نعوذ من الخذلان ، ومن معارضة الله تعالى في حكمه بإرادة إعزاز من أذله الله تعالى ، ورفعةِ مَنْ حَطَّهُ الله ، وأكرامِ [2] من أهانه الله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٦٤ ـ قال أبو محمد : قد أوردنا في هذا الكتاب من شُنَعهم أشياءَ تقشعرُّ منها الجلود ، ولولا أن الله تعالى نَصَّ علينا من كفرهم ما نَصَّ كقوله تعالى عنهم : إنهم قالوا عزير ابن الله ، ويد الله مغلولة ، وأن الله فقير ونحن أغنياء ، لما استجزنا ذكر ما يقولون لشنعته وفظاعته . ولكننا اقتدينا بكتاب الله عز وجل في بيان كفرهم ، والتحذير منهم [3] . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله [ وسلم ].

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وصلى الله على محمد عبده ورسوله
وعلى آله وصحبه أجمعين
وسلم تسليماً كثيراً
يا رب العالمين

---

(١) ص : إياه .
(٢) ص : وأكرم .
(٣) مثل هذا العذر في رواية ما يقوله اليهود قد ردده ابن حزم أيضاً في الفصل ١ : ٢٢٣ قال : ولولا ما وصفه الله تعالى في كفرهم وقولهم : يد الله مغلولة ، والله فقير ونحن أغنياء ، ما انطلق لنا لسان بشيء مما أوردنا ولكن سهل علينا حكاية كفرهم ما ذكره الله تعالى لنا من ذلك .

## محتويات الكتاب